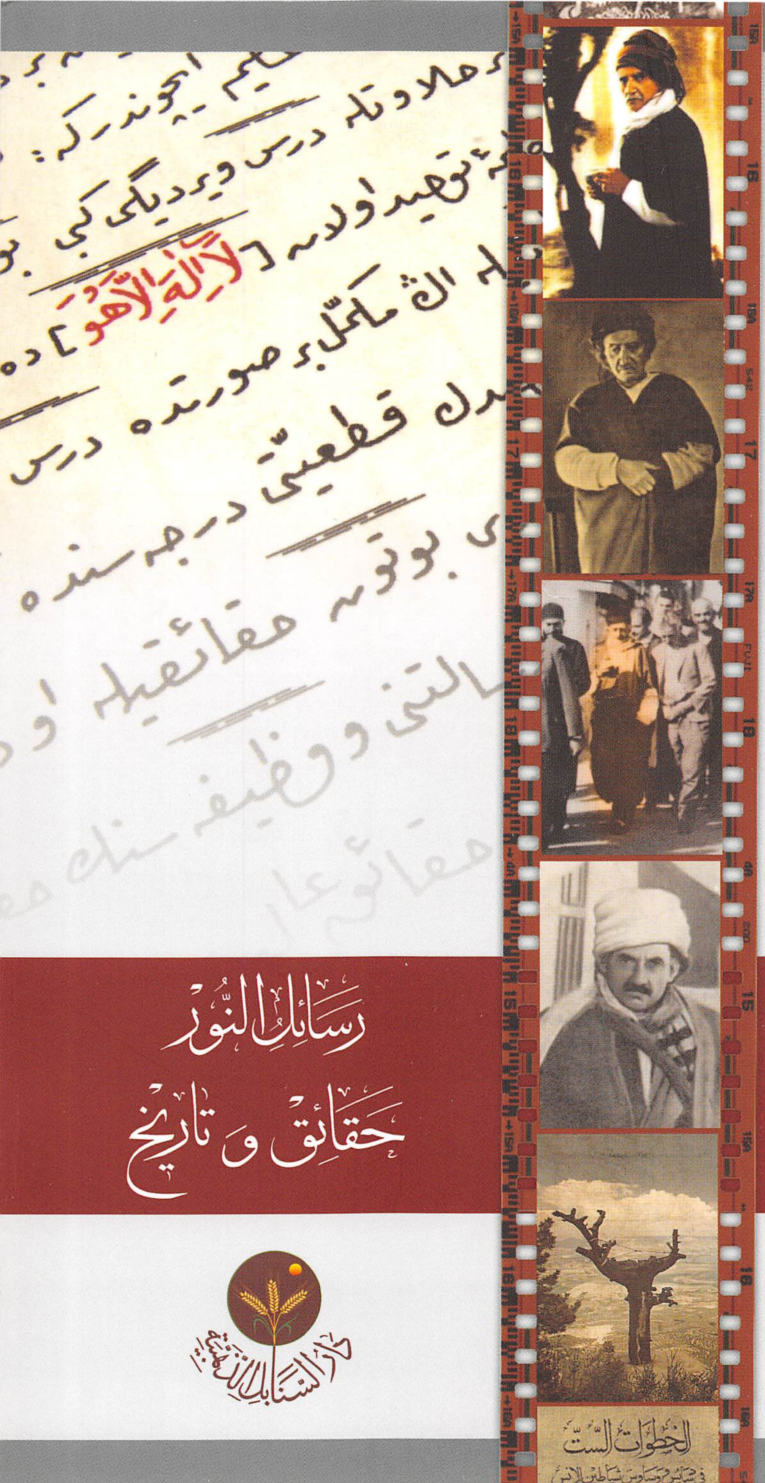

رسائل النور
حقائق و تاريخ
دار السنابل الذهبية
الخطوات الست

رسائل النور حقائق وتاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل القرآن الكريم الباقيةَ حقائقُه إلى يوم الدين، والمخاطِبَ جميع الطبقات البشرية في كل العصور، والذي يبعث في كل وقتِ كُربةٍ وشدة وارثًا مباركاً للرسول -صلى الله عليه وسلم- من أهل البيت لإمداد أمة محمد عليه الصلاة والسلام، فله الحمد بعدد كل ذرَّات الكائنات، والصلاة والسلام على فخر العالمين الذي بشَّر بـ "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد دينها" [1] والذي يقدر العلماء قائلاً: "العلماء ورثة الأنبياء" صلاةً وسلامًا بعدد كل حرف كَتبَته الأقلام وانعكس على الكلمات، وبعد:

فإن القرآن كنز لا يفنى ولا ينفد؛ لأنه كلام الله، ولأن ذلك الفرمان الإلهي جاء من الأزل فسيمضي إلى الأبد، ولقد كُتبت في كل عصر مئات من تفاسير القرآن لإفادة البشر، فاستفادوا منها أيَّما إفادة، واستلهم العلماء المحقِّقون المدققون استلهاماتٍ كبيرة من القرآن، وقدَّموا وصفاتٍ طبيةً تخاطب عقول وإدراكات كل العصور، وبدَّدوا ظلمات الأزمنة المختلفة بأدوية معجزة ركّبوها مما أخذوه من الصيدلية البديعة للكلام الإلهي.

ولقد انجرفت البشرية في قرنها الأخير هذا والقرن السابق عليه إلى هلاكٍ وكوارث معنوية بشكل لم يُر مثله

١) الحديث في المستدرك على الصحيحين رقم ٨٥٩٢ ج ٤ ص ٥٦٧.

في التاريخ، بما تَكَالَبَتْ به عليها فتن آخر الزمان؛ فتحولت فكرةُ إنكارِ الألوهية إلى نظام منهجي بالتعرض إلى أركان الإيمان بآلات الفلسفة والعلوم الحديثة، ووجدت لنفسها على النطاق الدولي أرضًا صالحة خصبة للانتشار، ووصلت -غازية بسرعة مذهلة- إلى أقصى المناطق بعدا في العالم بوسائل الاتصالات المتطورة والمتقدمة، وتحول الانحلال الأخلاقي والسفاهة إلى إرهاب أخلاقي مُزْمِنٍ، وروِّج له بأقنعة مختلفة؛ وكل ذلك أصبح سببا من أهم أسباب الأزمة المعنوية التي تعانيها البشرية في آنها الراهن وعصرها الحالي.

وبعدما سقطت الدولة العثمانية في القرن الماضي دُفِعت الدول الإسلامية -وعلى رأسها الدولة العثمانية دولة الخلافة آنذاك- إلى تلك الحالة المذهلة المفجعة بِسُبُلٍ ووسائل داخلية، وبمخططات شيطانية من العالم الغربي الذي يحمل حقدا تراكم منذ ألف سنة ضد العالم الإسلامي.

ولما كان الإمام المجدد بديع الزمان سعيد النورسي يجاهد بكل ما أوتي من قوة تلك التخريبات التي وُجِّهتْ للخلافةِ الإسلاميةِ، والتي شاهدها عن قرب في تلك السنوات الأخيرة ؛ بيّن كيفية خروجنا من تلك الحالة في خطبة ألقاها في دمشق عام ١٩١٠م بقوله: "إن وصفة العلاج لعصر مريض، ولعنصر سقيم، ولعضو عليل هي: اتباع القرآن، ووصفة العلاج لقارة عظيمة سيئة الحظ، ولدولة مجيدة سيئة الطالع، ولقوم نبلاء شرفاء لا حامي لهم ولا صاحب هي: الاتحاد الإسلامي."

ونعرض فيما يلي نبذة مختصرة عن هذا العالم الكبير.

الإمام بديع الزمان سعيد النورسي

ولد الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في قرية "نورس" التابعة لمحافظة "خيزان" من ولاية "بتليس" عام ١٢٩٣هـ / ١٨٧٧م شرقي تركيا.

وبعدما مكث مع أسرته إلى سنه التاسع؛ تلقى دراسته الأولى على يد أخيه الكبير المُلاّ عبد الله. ولفت الأنظار إليه بقوة ذاكرته، وذكائه وشجاعته في دراسته القصيرة عند العلماء الكرام وفي المدارس المختلفة في شرق تركيا، وجعل الناس يقبلون تفوقه العلمي؛ حيث إنه أكمل كل المواد المقررة حسب منهج العلماء العثمانيين في ذاك الوقت خلال فترة وجيزة تثير الحيرة مثل ثلاثة أشهر، ونجح في امتحانات أساتذته وفي المناقشات العلمية التي شارك فيها.

وقد لقّبه أستاذه الملا فتح الله بـ"بديع الزمان" في مرحلة طفولته لقوة ذاكرته وذكائه الفذّ، ووجد هذا اللقب قبولاً عند جميع العلماء في شرق تركيا.

وتحول الإمام بديع الزمان بعد عهد شبابه -الذي كان يشتغل فيه بالعلم والرياضة الروحية- في المراكز العلمية الكثيرة مثل بتليس وشروان وسعرد وتيللو وماردين، وفي المدارس الموجودة في تلك المناطق، والتقى بأشهر العلماء في عصره وجالسهم.

وحفظ في تلك الفترة تسعين مجلدًا في مختلف العلوم كالصرف والنحو والمنطق والتفسير وعلم الكلام، ولكثرة

الكتب التي حفظها لم يكن ليستطيع مراجعتها في أقل من ثلاثة أشهر وبتخصيص ما لا يقل عن ثلاث ساعات يوميًا لهذا الغرض، وقد سافر إلى ولاية "وان" بدعوة من حسن باشا، وفي هذه الفترة التي كان يلتقي فيها برجال الدولة وفي مقدمتهم الوالي، وقف على أن علوم المدنية الحاضرة أيضًا ضرورية لتبليغ الإسلام في هذا العصر، وبناء على هذا درس بجهده الشخصي العلوم كالرياضيات، والجيولوجيا، والفيزياء، والكيمياء، وعلم الفلك، والتاريخ، والجغرافيا، والفلسفة في فترة وجيزة.

وطوال المدة التي أقام فيها في "وان" والتي قاربت خمس عشرة سنة اشتغل بالتدريس وبوعظ العشائر وإرشادها، حتى إنَّه عُرِفت له مدرسة خاصة هناك، وكانت تسمى "خُرخَر"، وفي أثناء وجوده في قصر الوالي طاهر باشا قرأ نبأً في الجريدة أحدث انقلابًا في حياته، وهو أن وزير المستعمرات البريطاني غلادستون قال مشيرًا إلى مصحف بيده: "ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، فلنسعَ إلى نزعه منهم أو إبعادهم عنه مهما كان الثمن".

وقد أثّر في روح الأستاذ هذا الخبر تأثيرًا بالغًا فأخذ عهدًا على نفسه وقال: "لأبرهننّ ولأُظهرنّ للعالم أجمع أن القرآن شمس معنوية لا تخمد، ولا يمكن إخمادها"، ووقف حياته لإثبات قضيته هذه.

إن الحلّ -من وجهة نظر الإمام بديع الزمان- حيال تخطيطات الأعداء الداخلية والخارجية لإسقاط الدولة العثمانية، ومن ثَمَّ لمحو الإسلام؛ هو نشر التعليم القوي الذي يلبّي متطلبات العصر الراهن، والذي يتخذ اتفاق القلب والعقل أساسًا له، ويجعل المسلمين يتفوقون على الغرب فكرًا وعلمًا، وكان يرى -رحمه الله- أن ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلّى الحقيقة، فتترقّى همة الطالب، وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولّد التعصب في الأولى، والحيل والشبهات في الثانية.

ومن هذا المنطلق طرح الإمام بديع الزمان فكرة ضرورة تأسيس جامعة إسلامية في شرق تركيا أَطلَق عليها اسم "مدرسة الزهراء"، التي وصفها بأنها ستكون أختًا لجامعة الأزهر، فأتى إلى إستانبول لتحقيق فكرته هذه، وأعلنت الجرائد والصحف آنذاك لقرائها عن مجيئه قائلةً: "إنه طلع في آفاق إستانبول شعلة ذكاء تُعدّ من نوادر الخلقة، إنَّه 'سعيد النورسي' ذلك الرجل الذي طلع كالشمس من ذروة جبال الشرق الشاهقة ".

والأستاذ نفسه علّق لوحة على باب غرفته في "خَان الشَّكَرْجي" الذي أقام فيه في حي الفاتح، وكتب فيها: "هنا تُحَلّ كل مشكلة، ويجاب عن كل سؤال، ولا يُسألُ أحدٌ سؤالا"، وبالفعل أجاب عن أسئلة علماء إستانبول

الذين وصلت إليهم شهرته، وبلغهم صِيته، وجاءوا لزيارته متلهّفين، وكان قصده في ذلك أن يلفت نظر مركز الخلافة إلى أهل شرق تركيا، وأن يجد دعمًا لمدرسة الزهراء التي كان يخطط لتأسيسها في مدينة "وان" أو مدينة "ديار بكر".

إن الإمام بديع الزمان الذي كان يرى الحل الوحيد للتخلص من الدوامة التي تدور فيها الدولة العثمانية هو في الدراسة القوية، وكان يرى مثل هذه الخدمة التي تجعل أبناء هذه الدولة النبيلة -التي قامت بوظيفة حامل لواء الإسلام خلال العصور الماضية- يعودون إلى قيمهم من جديد؛ أساسًا لحياته.

وقد أجرى له السلطان -بواسطة وزير الداخلية- مرتَّبًا شهريًّا وجوائز قيمة، إلا أنه رفض ذلك؛ إذ إنه لم يكن يريد أية منفعة شخصية، بل كان يريد أن يساعدوه في تأسيس جامعته "مدرسة الزهراء" التي تدرِّس فيها العلوم الدينية وعلوم المدنية الحاضرة معًا، لكن لم يُعِر أحد لفكرته اهتمامًا.

ثم إن الأستاذ الجليل الذي لم يجد الدعم الذي يريده من الدولة التي تأثرت كثيرًا بأحوال العالم الذي أصبح مشهدًا للمؤامرات القبيحة للعالَم الغربي في أوائل القرن العشرين؛ فضَّل وآثر أن يبقى في إستانبول -مركز الخلافة الإسلامية- وأن يخدم الدين بواسطة السياسة بدلاً من أن يرجع إلى بلده مرة أخرى، وكتب مقالات في الصحف، وقابل شخصيات من السياسيين ونصحهم، وكان له دور بارز في تهدئة

الجماهير في اجتماعاتهم ومظاهراتهم، وأسَّس جمعية "الاتحاد المحمَّدي" مع أصدقائه بعد إعلان المشروطية، وتوسعت دائرة هذه الجمعية في وقت وجيز، حتى إن خمسين ألف شخص قد انضموا إلى هذه الجمعية في مدينَتَي "آدا بازاري" و"إزميت" وما حواليهما بسبب مقالة واحدة له.

المحكمة العسكرية العرفية

وفي أثناء تلك المدة وقعت حادثة تظاهرات شهيرة عُرِفت بحادثة (٣١ مارس)، فاعتُقِل الإمام بديع الزمان على إثرها ظنًّا منهم أن له علاقةً بهذه الحادثة، وسيق إلى المحكمة العسكرية، على الرغم من أنه قام بنشاطات جادة مُهدئة للجوِّ قبل وقوع هذه الحادثة، ودافع بجرأة شديدة ومنقطعة النظير عن نفسه في تلك المحكمة التي نال فيها البراءة كالآتي:

"سألوني مثلما سألوا غيري: وأنت أيضًا قد طالبت بالشريعة! قلت: لو كان لي ألف روح، لكنت مستعدًّا لأن أضحي بها في سبيل حقيقة واحدة من حقائق الشريعة؛ إذ الشريعة سبب السعادة، وهي العدالة المحضة وهي الفضيلة، أقول: الشريعة الحقة لا كما يطالب بها المتمردون، وقالوا كذلك: هل انضممت إلى الاتحاد المحمدي؟ قلت: نعم بكل فخر واعتزاز! أنا من أصغر أعضائه، ولكن بالوجه الذي أعرفه به، قولوا أنتم لي: أليس خارج ذلك الاتحاد إلاَّ الملحدون؟"

وبعد هذه الأحداث غادر "إستانبول" وذهب إلى "تفليس" عن طريق "باطوم" وبعدها إلى "وان"، وتجول بين العشائر وسعى لإرشادها بالدروس العلمية والاجتماعية والمدنية، وقد جُمِعت كلماته ودروسه التي ألقاها على العشائر فيما بعد في كتاب اسمه "المناظرات".

ثم انتقل من "وان" إلى "دمشق"، وبإلحاح من علماء "دمشق" ألقى خطبة في "الجامع الأموي" واستمع إليها حوالي عشرة آلاف شخص، بينهم ما يقرب من مائة عالم، وقد نالت هذه الخطبة القبول والاستحسان والتقدير بصورة فائقة على غير المعتاد، وطبعت فيما بعد باسم "الخطبة الشامية"، ثم انتقل من "الشام" إلى "بيروت" ثم رجع إلى "إستانبول".

وقد رافق الأستاذُ "السلطانَ رشاد" في أثناء سفره إلى "روم ألي" (٢) بصفته ممثل الولايات الشرقية، وأفصح عن فكرته حول "مدرسة الزهراء" لـ"السلطان رشاد"، فوافقه في الرأي، ووضع الإمام بديع الزمان حجر الأساس لـ"مدرسة الزهراء" في منطقة "أدْرميت" على ضفاف بحيرة "وان"؛ إلا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى حال دون إكمال المشروع مع الأسف.

إلا أنه ذكر فيما بعد أَنَّ دعاءه الفعلي الخالص لقيام "مدرسة الزهراء" قد استجيب بالفعل، وقامت هذه المدرسة في صورة المدارس النورية المنتشرة في كافة أرجاء البلاد، فحمد الله.

٢) القسم الأوربي من تركيا.

سنوات الحرب

شارك الأستاذ بديع الزمان -رحمه الله- في الحرب العالمية الأولى قائدًا لكتيبة كوَّنها من طلابه، ودافع عن شرق البلاد ضدّ الروس والأرمن، وفي أثناء الحرب وفي الخندق وتحت مطر من الرصاص وقربه الشديد من الشهادة، وفي ظروف لا يمكن فيها التأليف ألّف كتاب "**إشارات الإعجاز**" -الذي يُعدُّ من روائع علم التفسير- بعناية إلهية وفي صورة سوانح قلبية.

وفي أثناء احتلال الروس لمدينة "بتليس" أُسر مصابًا بالجروح، ثم سيق إلى "سيبريا"، وظلَّ في الأسر هناك لمدة سنتين ونصف.

وفي أثناء أسره لم يقعد دون حِرَاكٍ، بل سعى لتوعية الأسرى بنصائحه الدينية، وفي النهاية تمكّن من الفرار، وعاد إلى إستانبول عن طريق "بيترس بورج" و"وارسوا" و"فيينا" في ٢٥ يونيو ١٩١٨م، وزاره كثيرون من الشعب والجيش وأركان الدولة، ولم يتركوه وحيدًا.

وبعد عودته فوجئ الإمام بديع الزمان بتعيينه عضوًا في "دار الحكمة الإسلامية" التي هي بمنزلة دار الإفتاء حاليًا والتي تجمع تحت سقفها كبار العلماء في الدولة العثمانية آنذاك.

خرجت الدولة العثمانية من الحرب العالمية الأولى مهزومة، ولم يمض وقت طويل حتى بدأ الإنجليز والفرنسيون والإيطاليون واليونان في احتلال أراضي الدولة العثمانية،

وإزاء هذا بدأت نشاطات حرب التحرير في كل أنحاء تركيا، وقام الإمام بديع الزمان بنشاطات تقض مضاجع الإنجليز في السنوات التي احتل فيها الإنجليز العاصمة "إستانبول"، وشجّع ودعم حركة القوى الوطنية القائمة لمواجهة المحتلين في جميع أنحاء تركيا.

وقد استحسنت حكومة "أنقرة" نشاطات الإمام بديع الزمان، ودعته إلى "أنقرة"، وبناءً على هذه الدعوة رحل الإمام بديع الزمان إلى "أنقرة"، فاستُقبِل استقبالاً حارًّا فيها، وأقيم له حفل استقبال رسمي في مجلس الشعب، إلا أن الإمام بديع الزمان لم ترضه الحال في "أنقرة" ولم يَرُقْه الوضع هناك حيث رأى أن كثيراً من النواب لا يهتمون بالدين ولا بالصلاة، فبيّن لهم أهميّة الصلاة في بيان كتبه من عشر فقرات، فكثُر عدد المصلين بعد هذا البيان، ولم يعجب تأثيره هذا أركانَ الحكومة بل قلقوا منه، ووقع الخلاف بينه وبينهم.

وعلى الرغم من انتصار الجيش التركي في حرب التحرير، وطَرْدِ قوات الاحتلال، فإن الإمام بديع الزمان بقي حزينا مهموما؛ إذ رأى عن كثب انتشارَ وغزو العقلية الأوربية والطرز الأوربي للحياة شيئًا فشيئًا، ورأى ضعفَ الاعتقاد والتمسّك بالإسلام، فقرّر العودة إلى "وان" حيث لم يعجبه وضع "أنقرة"، ولم يتراجع عن قراره على الرغم من العروض المغرية الكثيرة التي عُرِضَتْ عليه كوظيفة النيابة في مجلس الشعب، وعضوية الاستشارة في رئاسة الشئون الدينية، ووظيفة الخطيب العام للولايات الشرقية، فسافر إلى "وان".

بدأ يعيش حياة العزلة في جبل ''أرك'' في ''وان'' حيث كان يقوم بإلقاء المحاضرات الدينية والنصائح والدروس، وفي الوقت نفسه كان يقوم بمراجعة نفسه ومحاسبتها.

ودفعه تأثير الشيخوخة من جهة، وعدم حصوله على نتائج في أي من نشاطاته السياسية من جهة أخرى إلى حياة العزلة، وكأنه شعر في هذه الفترة -روحيًا- بأن انقلابًا معنويًّا عظيمًا سيحدث، وكأنه كان ينتظر الوظيفة التي سيوظفه فيها القدر.

ولم يمض وقت طويل حتى اندلعت ثورة ''الشيخ سعيد''[٣] ولكنها أُخمدت بعد إراقة الدماء الكثيرة، وعلى الرغم من أن الإمام بديع الزمان لم تكن له علاقة بهذه الثورة ولم يكن يستحسنها؛ فإنه نُفِيَ على إثرها إلى ''إستانبول'' في سنة ١٩٢٥م، ومن إستانبول إلى ''بُورْدُور'' ثم ''إسبارطة''، وأجبروه على الإقامة في ''بارلا''، وهي قرية صغيرة تابعة لولاية ''إسبارطة''؛ حتى يتمكنوا من مراقبة كل أحواله، والحيلولة دون اختلاطه بالناس.

''سعيد الجديد'' وتأليف رسائل النور

إن الإمام بديع الزمان يقسِّم حياته إلى قسمين؛ ''سعيد القديم'' و''سعيد الجديد''. فيعبِّر عن فترة حياته التي كان يشتغل فيها بالسياسة الدنيوية إلى حد ما بفترة ''سعيد القديم''، ويعبِّر عن فترة حياته التي تبدأ مع بداية تأليف

٣) هو الشيخ سعيد بيران، كان رئيسا لإحدى العشائر الكردية، وقاد ثورته تعبيرا عن السخط والغضب الذي بدأ يسري في أوساط الشعب من توجهات الحكومة المعادية للدين آنذاك.

رسائل النور والتي تبرز فيها وظيفته التجديدية في خدمة الإيمان والقرآن بفترة "سعيد الجديد".

إن الإمام بديع الزمان قد ألّف في "بارلا" -حيث مكث فيها ثماني سنوات- ثلاثة أرباع كليات "رسائل النور" -وهي "الكلمات" و"المكتوبات" و"اللمعات"- التي ترتكز في أغلبها على المسائل الإيمانية، وقال عن هذا المنفى: "إن الذين ظلمونا قد خدموا الحقائق الإيمانية وساعدوا على انكشافها دون أن يشعروا، ودون أن يعقلوا أسرار القدر الإلهي"، وانتهج أسلوبًا فريدًا غير مألوف في نشر مؤلفاته في أنحاء الأناضول؛ حيث كان يشترط على من يريد أن يكون تلميذًا له أن يستنسخ رسائل النور بالحروف القرآنية، وأن يدعو غيره إلى الاستنساخ أيضًا، ومجموعة صغيرة من طلابه في ولاية "إسبارطة" و"بارلا" كانوا وحدهم يزيدون عدد نسخ الرسائل عن طريق الاستنساخ، وكانوا يسعون لزيادة عدد المستنسِخين حتى انتشرت رسائل النور بهذه الطريقة سرًا، وفي وقت قصير، في كافة أنحاء الأناضول.

محكمة "أسكي شهر" والنفي إلى "قسطموني"

إن انتشار رسائل النور يومًا بعد يوم قد أزعج بعض الناس، فَنُقِلَ الإمام بديع الزمان من "بارلا" إلى "إسبارطة" في سنة ١٩٣٤م، واعتُقل بعد سنة مع مائة وعشرين من تلاميذه بتهمة "تأسيس الجمعية السرية" و"القيام بأعمال ضد النظام" و"السعي لهدم النظام"، فأُودِعوا جميعا في سجن "أسكي شهر".

ثم سيق هو وتلاميذه إلى المحكمة الجنائية الكبرى لـ"أسكي شهر" لمحاكمتهم، وعلى الرغم من أنه دحض كل التُّهَم التي وُجِّهت إليه بدفاعه في المحكمة، وعلى الرغم من عدم وجود أي دليل ضده؛ فإن المحكمة قد حَكمت عليه بالسجن أحدَ عشرَ شهرًا، وعلى خمسة عشر طالبًا من مائة وعشرين من طلابه بالسجن ستة أشهر، متذرّعة بـ"رسالة الحجاب"، وأُطْلِق سراح البقية.

ثم نُفِيَ الإمام بديع الزمان إلى ولاية "قسطموني" بعد أن خرج من سجن "أسكي شهر"، وأُجبِر على الإقامة في مخفر الشرطة مدة طويلة، وبعد هذا كان تحت إقامة جبرية في بيت يقابل ذلك المخفر.

وظلّ في "قسطموني" لمدة ثماني سنوات منفيًّا، والتفَّ حوله طلاب كثيرون كما كان في المدن الأخرى، وكانت الأيدي تتلقَّف الرسائل المؤلَّفة سابقًا من جهة، ومن جهة أخرى كان الإمام يقوم بتأليف رسائل جديدة.

إن الرسائل والخطابات الجديدة كانت تُبعث إلى "إسبارطة" أولاً، فيقوم التلاميذ بتوصيل تلك الرسائل إلى كل مكان، حتى إلى القرى، وكان عدد حلقات التلاميذ يزداد يومًا بعد يوم.

ولم يقف الذين أَطْلَق عليهم الإمامُ بديع الزمان اسمَ "أعداء الدين المتسترون" حيال هذا الانتشار مكتوفي الأيدي، ولكنهم داهموا بيته عدة مرات وسمّموه، إلا أنه قد نجا بعون الله من تأثير السمّ، ولم يستطيعوا منع انتشار النور.

محكمة ''دنيزلي'' و''آفيون'' والنفي إلى ''أميرداغ''

و في سنة ١٩٤٣م سيق إلى المحكمة الجنائية الكبرى لولاية ''دنيزلي'' مع مائة وستة وعشرين من طلابه، وطلبت المحكمة من العلماء الكبار وأساتذة الجامعة تدقيق الرسائل، والتثبُّت من أمرها، وفي النهاية وصل هؤلاء المتحققون المتخصصون إلى نتيجة ساطعة، وهي: ''إن الإمام بديع الزمان ليس له غرض سياسي، ولا يقوم بنشاط تصوّفي، وإن رسائل النور كتب علمية وإيمانية وتفسير للقرآن الكريم''، وحُكم ببراءته نتيجة ذلك التقرير من المتخصصين ونتيجة دفاعات الإمام في المحكمة عام ١٩٤٤م.

وفي أثناء بقائه في السجن خلال تسعة أشهر حيل دون مقابلته لتلاميذه، وتعرض للمعاناة والمشاق العديدة وسُمِّم.

وعلى الرغم من كل ذلك فإنه صبر ونجا بعون الله من تأثير السمّ، ثم أقام بعدما خرج من السجن في ولاية ''دنيزلي'' لمدة شهرين، وانتقل إلى منفى آخر، إلى ''أميرداغ''.

إن انتشار دعوة النور استمرّ في ''أميرداغ'' على الرغم من كل المعاناة وكل المشقات، وكان هناك من يزورونه، وكان تلاميذه يأتون إليه بالرسائل التي استنسخوها باليد، وهو بدوره يقوم بمراجعتها وتصحيحها، وكثيراً ما كان يذهب إلى التلال والحقول، ورجال الدولة يراقبونه، ويقف أفراد الشرطة أمام بيته دائمًا.

وفي أواخر سنة ١٩٤٧م قُبض عليه مع طلابه في المدن المختلفة ورحِّلوا إلى ولاية ''آفيون''، ولم تتغير التهمة أبدًا،

فهي كسابقاتها وهي : "أنه ضدّ النظام" و"يؤسس جمعية سياسية سرية"، واستمرت المحاكمة عشرين شهرًا، ثم حُكم لهم بالبراءة.

وفي سنة ١٩٥٠م بدأت فترة تعدد الأحزاب السياسية في تركيا، وفاز الحزب الديمقراطي في الانتخابات ووصل إلى الحكم، وأصبح هذا التغير الذي حدث في عالم السياسة سببًا للحرية والراحة للإمام بديع الزمان ولطلابه إلى حدٍّ ما؛ نقول "إلى حد ما"؛ إذ لم تنته المعاناة والمحاكمات نهائيًا، وظل الإمام بديع الزمان مقيمًا في "أميرداغ" بعد انتهاء محكمة "آفيون" بقرار البراءة.

وبعد مجيء الحزب الديمقراطي إلى الحكم سافر إلى "أسكي شهر"، وبعد مدة انتقل إلى "إسبارطة"، وقام برعاية طلابه والاهتمام بزوّاره هناك.

وفي سنة ١٩٥٢م رُفعت ضده دعوى بسبب طباعة كتابه "مرشد الشباب" في "إستانبول" بالحروف الجديدة (أي الحروف اللاتينية)، فجاء إلى "إستانبول" مرة أخرى من أجل المحاكمة بعد ٢٧ سنة من مغادرته لها، وتوافد طلابه ومعارفه القدماء بازدحام على الفندق الذي كان يقيم فيه، واستمرت المحاكمة وهو غير معتقل ثلاثة أشهر، وحكم له بالبراءة مرة أخرى، ورجع إلى "أميرداغ" بعد المحكمة.

وبينما كان يتجول وحده في الحدائق والبساتين جاءته الشرطة العسكرية وأخذته إلى المخفر بسبب عدم ارتدائه القبعة (١٩٥٣م)، وبسبب هذه الحادثة كتب خطابًا

وأرسله إلى وزارة العدل وإلى وزارة الداخلية، ونُشِر هذا الخطاب في جريدة محلية في تلك الولاية من قبل طلابه، ومن ثَمَّ رُفعت ضده قضية في ولاية "سامسون" واستُدعِي إليها، وكان قد أرسل إليهم تقريرًا طبيًّا يبين عدم قدرته على الذهاب إلى المحكمة؛ لأنه كان مريضا وطاعنا في السن؛ حيث كان عمره حينئذ ثمانين سنة، وأصرّت المحكمة على مجيئه على الرغم من التقرير الطبّي، ولما جاء إلى "إستانبول" ليسافر منها إلى "سامسون" اشتد مرضه، فأرسل إلى "سامسون" تقريرا طبّيا آخر يبين عدم قدرته على السفر لا بالبر ولا بالبحر ولا بالجو، وفي النهاية انتهت المحكمة إلى براءته.

وفي ربيع سنة ١٩٥٣م مكث ثلاثة أشهر في إستانبول، وهناك شارك في احتفالات أقيمت بمناسبة الذكرى السنوية لفتح "إستانبول"، ثم بعد ذلك انتقل إلى "أميرداغ" و"أسكي شهر" ومن هناك إلى "إسبارطة"، وذهب مع طلابه إلى "بارلا" حيث منفاه الأول، ومحلّ تأليف الرسائل.

سياحة الوداع

وفي بداية سنة ١٩٦٠م كان عالم السياسة مائجا مضطربًا في تركيا، وذهب الإمام بديع الزمان إلى أنقرة ثلاث مرات لينبّه ويحذّر الحكومة ويخبرها بالكوارث التي اقتربت، إلا أنه لم يحصل على نتيجة لمساعيه المخلصة؛ بل حال وزير الداخلية دون قدوم الإمام بديع الزمان إلى "أنقرة" في تاريخ ١١ يناير ١٩٦٠م، وأوصوه بأن

يرجع إلى "أميرداغ" وأن يقيم فيها، خاضعين لتهديدات الحزب الشعبي.

وبعدما أدى الإمام بديع الزمان واجبه أقام في "أميرداغ" بعض الوقت، ثم رجع إلى "إسبارطة"، وكأنه بعد هذا التاريخ قد بدأ يودّع من حوله حيث كان يتحدث بكثرة عن الموت والقبر في وصاياه، فكان يقول إني مستعدّ للارتحال إلى الآخرة باطمئنان قلب، بسبب تأليف رسائل النور، وتربية أياد قوية تتبنى دعوة الإيمان والقرآن.

وبعد ما حالوا دون دخوله "أنقرة" قرّر فجأة أن يسافر من "أميرداغ" إلى "أورفا".

ووصل الإمام إلى ولاية "أُورْفا" بعد سفر شاق دام خمسا وعشرين ساعة بسبب اشتداد مرضه، وبسبب مراقبة الشرطة المستمرة له، واستقر في فندق "إِبَكْ بالاس" وقابل كل من جاء لزيارته من أهل "أُورْفا" على الرغم من مرضه الشديد، وودّعهم واحدًا فواحدًا، إلاَّ أَنَّ الحكومة قد ضغطت على والي "أورْفا" وطلبت منه مغادرة الإمام بديع الزمان لـ"أورْفا" فورًا.

أما أهل "أُورْفا" الذين سمعوا أن الإمام سيغادر "أورْفا" فضغطوا من جانبهم على الإدارة بشدة حتى يمنعوا مغادرته، وعلى الرغم من كل تلك المحاولات فإن الحكومة كانت مصرّة على نقل الإمام من"أورْفا" باستخدام قوة الشرطة، إلا أنه لقي ربه فجر يوم ٢٣ مارس عام ١٩٦٠م الموافق ٢٥ رمضان من عام ١٣٧٩ الهجري، وصلّى على إمام العصر حشدٌ كبير في جامع "أولو" يوم الخميس الموافق

٢٤ مارس ١٩٦٠م، وجيء بجثمانه إلى مقبرة "خليل الرحمن" ودُفن في منزله المؤقت، وبعد وفاة الإمام بشهرين في ٢٧ مايو حدث انقلاب عسكري، ومن ثَمَّ بدأت فترة ظلم جديدة مظلمة في البلاد؛ وبلغ هذا الظلم من شدته إلى حدٍّ أن تعدَّوا على قبر الإمام في تاريخ ١٢ تموز ١٩٦٠م؛ فأخذوا جثمانه المبارك ونقلوه إلى مكان مجهول.

خدمة رسائل النور

لقد عبر الإمام بديع الزمان عن الفتنة الشديدة التي ابتلي بها أهل الإيمان بعدما سافر إلى أنقرة بدعوة من الحكومة بعد حرب التحرير بقوله "سافرت إلى أنقرة في سنة (١٣٣٨هـ/١٩٢٢م)، وشاهدت أن فكرة الزندقة الرهيبة تسعى إلى التسلل بمكر ودهاء -بغية الإفساد والتسميم- إلى الأفكار القوية لأهل الإيمان الذين يفرحون لغلبة جيش الإسلام على اليونان، فتأوَّهت وقلت: هذه الأفعى ستتعرض لأركان الإيمان".

ومع الأسف الشديد وقع فعلاً ما كان يَخشى وقوعَه الإمامُ بديع الزمان، وقد تعرَّضت الأفعى لأركان الإيمان.

وقد تحدث الأستاذ في أثناء إقامته في "وان" بعد عودته من "أنقرة" عن تجربة نفيه في "إسبارطة" فقال:

"أحمد الله مائة ألف مرة، وأقول -تحدثًا بالنعمة- إن جميع مضايقاتهم واستبداداتهم تصبح كالحطب لإشعال نار الهمة والغيرة؛ لتزيد أنوار القرآن سطوعًا،

فتلك الأنوار القرآنية التي قوبلت بالمضايقات وانبسطت بحرارة الغيرة والهمة جعلت جميع هذه الولاية بل أكثر المدن في حكم مدرسة، ولم تنحصر في بارلا وحدها، إنهم يحسبون أنني محبوس في القرية، إلا أن تلك القرية "بارلا" أصبحت منصَّةَ درس رغم أنف الزنادقة، وكثير من الأماكن كـ"إسبارطة" أُصبح مدرسةً، فالحمد لله هذا من فضل ربي."

وبدأ بتأليف رسائل النور في هذه الناحية الصغيرة الموجودة على قمة جبل، فقدَّم بمؤلفاته وآثاره التي كل منها وصفات قرآنية التشخيصَ والعلاج لأمراض هذا العصر المعنوية، ولجميع طبقات البشر وأهل الإيمان، فأصبح كل من رسائل النور ومنهج دعوة الإمام اللذين قُدِّمَا للبشرية والمسلمين بمنزلة ترياق وأدوية معنوية لملايين من الناس، فجعلا المخططات السرية الخبيثة عقيمة ولا جدوى مرجوة منها، وواهية أوهى من بيت العنكبوت لا أثر لها بإذن الله..

ويعبر الإمام بديع الزمان عن مدى تأثير رسائل النور والغاية التي تستهدفها بقوله: "إن رسائل النور لا ترمم تخريبات جزئية أو منزلا صغيرا، بل ترمم تخريبات كلية، وقلعة عظيمة محيطة تحيط بالإسلام، أحجارها ولبناتها ضخمة ضخامة الجبال، وهي لا تُصلح قلبا وضميرا واحدا معينًا، بل تسعى بإعجاز القرآن لمعالجة القلب الاجتماعي، وأفكار المجتمع التي طُعنت بطعنات قاتلة بآلات مُفسِدة، حُشِدت وجُمِعت منذ ألف سنة، ولا سيما الضمير العمومي الذي طفق يفسُد نتيجة الضعف الذي أصاب

الأسس والتيارات والشعائر الإسلامية التي هي نقطة استناد لعوام المؤمنين، وتسعى لمعالجة الجروح الغائرة لتلك القلوب والأفكار والضمائر بأدوية القرآن والإيمان.

إذن فلا شك من وجود أجهزة وحجج في درجة حق اليقين، وفي قوة الجبال الراسيات، ووجود ما لا حد له من علاج وأدوية مجرَّبة يحمل كل واحد منها قوة وخاصية ألف دواء لمعالجة مثل هذه الطعنات والجروح الكلية الغائرة، فرسائل النور -التي ظهرت من الإعجاز المعنوي للقرآن المعجز البيان- تؤدي تلك الوظيفة في هذا الزمان، فضلا عن أنها مدار للترقيات والانكشافات فيما لا حدَّ له من مراتب الإيمان".

فرسائل النور ودعوتها التي تستمد كلَّ قوَّتها من القرآن قد نالت من الله التوفيق الذي لا يوجد له نظير في التاريخ الإسلامي بعد عصر السعادة وخير القرون، مقارنة بمناهج الدعوة وأساليبها المتبعة، وبالمؤلفات الأخرى التي كتبت في العهد نفسه في العالم الإسلامي.

فالإمام بديع الزمان الذي عبَّر عن قوَّة هذا التفسير القرآني بقوله: "إن رسائل النور لا تنطفئ ولا يمكن إطفاؤها، ورسائل النور نور يسطع كلما حاولوا إطفاءها، وإن رسائل النور كشَّاف يكشف عن معمى طلسم الكون ويحله"؛ قد نال التوفيق على الرغم من الاستبداد والظلم اللذين أحاطا به، وعلى الرغم من أنه سُمِّم مرات عديدة، وألقي به في غياهب السجون والزنزانات، وقضى عمره في المنافي، ولم تستطع دوامة الظلم والاستبداد الذي

تعرض له أن تمنع من أن يكون سببًا لشفاء صدور أهل الإيمان، ودواء همومهم، بل لم يعبأ بالظلم الذي تعرض له، وتحدَّى قوى الظلم إلى آخر نَفَس من أنفاسه، فقد أجرى معه الصحفي المعروف أشرف أديب لقاء صحفيا عام ١٩٥٢م، وكان عمره حينئذ ٧٦ عامًا إلا أن هذا العمر لم يمنعه من أن يقول : "ليتني أتعرض لألف ضِعف من هذه المشقة والظلم ولكن يبقى مستقبل قلعة الإيمان في أمن وسلام" فأثبت أن الهمة والشعلة التي بدأت في روحه منذ نصف قرن ما زالت مستمرة متوهجة.

أساس مسلك رسائل النور: خدمة الإيمان والقرآن

يقول الأستاذ الإمام بديع الزمان عن فكرة الإلحاد المدهشة التي تشكلت في عصره والتي جذورها في الخارج "إنه لا يؤلمني سوى المخاطر المحيطة بالإسلام؛ إذ كانت المخاطر سابقًا تأتي من الخارج، وكانت مقاومتها يسيرة، أما الآن فإنها تأتي من الداخل حيث دبَّت الديدان في الجسد فتعسرت المقاومة، إنني أخشى ألا تتحمل بنية المجتمع هذا الداء الوبيل لأنه لا يحس بالعدو، ويظن من يقطع شريانه ويمص دمه صديقًا له، وإذا عميت بصيرة المجتمع إلى هذا الحد فقلعة الإيمان إذن في خطر، فهذا هو الشيء الوحيد الذي يؤلمني."

"إنني أرى الرءوس الكبيرة سادرة في الغفلة، فقلعة الإيمان لا تسند بأعمدة الكفر النخرة، ولهذا أبذل كل جهدي وسعيي في الإيمان وحده.. إنني أترنم بجوهر حياة المجتمع، وبوجوده المعنوي وبوجدانه وإيمانه، وقد حصرت

انشغالي في أساس التوحيد والإيمان الذي أسّسه القرآن؛ إذ إن العمود الرئيس لمجتمع الإسلام هو هذا، فإذا تزلزل ضاع المجتمع."

"لي غاية واحدة وهي: أنني في هذا الوقت الذي أقترب فيه من القبر، وفي هذا الوطن الذي هو بلد مسلم نسمع نعيق بوم البلاشفة، هذا النعيق يهدد أسس الإيمان في العالم الإسلامي، ويشدّ الشعب ولاسيما الشباب إليه، بعد سلب الإيمان منهم، إنني بكل ما أملك من وجود، أُجاهد هؤلاء، وأدعو المسلمين وبخاصة الشباب إلى الإيمان، فأنا في جهاد دائم مع هذه المجموعة الملحدة، وأريد أن أمثل -إن شاء الله- في ديوان حضوره سبحانه وأنا رافع راية هذا الجهاد، وكل عملي منحصر في هذا."

إن روح مسلك رسائل النور هي وجهة النظر هذه، ويمكننا أن نرى الطراز الدعوي الأصيل الفريد الذي يتّبعه لوصول هذه الخدمة إلى الغاية المذكورة، والذي يتخذ فيه الدعوة النزيهة اللطيفة والدعوة بالقول اللين أساسًا له، والذي يخاطب فيه نفسه أولاً وقبل كل شيء، فيما ذكره الإمام وهو كالآتي:

"إن أساس رسائل النور وخميرتها وقاعدتها وروحها وحقيقتها هي تصديق الحقائق الإيمانية -من حيث الإيمان بالغيب، وبفيض سر الوحي، وبأسلوب برهاني وقرآني، بامتزاج العقل والقلب- بعلم اليقين الذي يصل إلى درجة الضرورة والبداهة في قوة حق اليقين"

إن رسائل النور درس قوي في علم الكلام، وتفسير معنوي يوصل جواهر القرآن المحيطة الغنية إلى البشرية بجناحي العقل والقلب، وهي تملك قوة علمية وفكرية تستطيع أن تلبّي كل الحاجات المعنوية للزمن الحاضر والمستقبل، فضلا عن أنها تحتوي على كل ثروات عالم الفكر التي ظهرت في التاريخ الإسلامي، ومن هذا المنطلق ففي هذه الرسائل قدرة على إزالة كل الاعتراضات والشبه التي تثار حول الحقائق الإيمانية، وعلى إلزام المعترضين.

دستور الإقناع

في المجتمعات الإسلامية حالتان مفزعتان حسبما ترى رسائل النور:

أولاهما: انتشار الكفر المطلق الذي يتولد من العلوم والفلسفة المبنية على أسس مادية.

ثانيتهما: تفضيل الناس القطعَ الزجاجية الدنيوية على ألماس الآخرة، بسبب غلبة النوازع البشرية على العقل والقلب، مع أنهم يعلمون قيمة الألماس.

والعلاج الذي تقدمه رسائل النور لهاتين الحالتين هو أن نصائح العلماء القدامى كانت تؤثر في المسلمين في السابق؛ لأن الكفر المطلق لم يكن منتشرا، بل كان الانقياد والتسليم لآراء العلماء سائدًا في المجتمعات الإسلامية، أما الآن فقد انتشر الكفر وضعف الإذعان لآراء العلماء؛ لذا فلا يمكن التأثير في الناس في الوقت الحاضر إلا بتقديم الأدلة والحجج القاطعة.

وقد أثبتت رسائل النور برسائلها العديدة كثيراً من المسائل الإيمانية بحجج وأدلة قوية قاطعة، ودحضت وفنّدت آراء منكري الحقائق الإيمانية، فقوّت إيمان كثير من الناس. إذ تقول: "إن الغلبة على المدنيين بالإقناع وليس بالجبر كالوحوش التي لا تفهم الكلام".

فالحل الوحيد في إنقاذ مدمني السيئات من بليتهم هذه من وجهة نظر رسائل النور إنما هو بإثبات أن في الإيمان والإسلام لذّات الجنة، بحيث يشعر بها الإنسان حتى في الدنيا، وأن في السيئات والآثام آلام جهنم، ويذوقها المرء حتى في الدنيا.

وظيفته التجديدية

إن الإمام بديع الزمان ورسائل النور التي ألفها قد نالا شرف التجديد الذي ذُكِر في الحديث الشريف "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" بفضل التأثير الذي أحدثاه في القلوب والعقول، وبتقديمهما القرآن الكريم بأسلوب يناسب ويلائم فهم هذا العصر.

ويوضح الأستاذ الإمام بديع الزمان حالته الروحية التي أعدَّته لحمل هذا الشرف -شرف التجديد- الذي وجد قبولا عند العلماء بقوله:

"قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، وإبّان نشوبها رأيت في رؤيا صادقة الآتي:

رأيت نفسي تحت "جبل آرارات" وإذا بالجبل ينفجر انفجارا هائلاً، فيقذف صخوراً عظيمة كالجبال إلى أنحاء الأرض كافة، وأنا في هذه الرهبة التي غشيتني رأيت والدتي -رحمة الله عليها- بجواري، فقلت لها:

- لا تخافي يا أماه! إنه أمر الله، إنه رحيم وحكيم.

وبينما أنا بتلك الحالة إذا بشخص عظيم يأمرني قائلاً: بيّن إعجاز القرآن.

فأفقتُ من نومي، وأدركتُ أنه سيحدث انفلاق عظيم، وستتهدم الأسوار التي تحيط بالقرآن الكريم بسبب ذلك الانفلاق والانقلاب العظيم، وسيتولى القرآن بنفسه الدفاع عن نفسه حيث سيكون هدفاً للهجوم، وسيكون إعجازه حصنه الفولاذي، وسيكون شخص مثلي مرشحاً للقيام ببيان نوع من هذا الإعجاز في هذا الزمان -بما يفوق حدّي وطاقتي كثيراً- وأدركتُ أني مرشح للقيام بهذا العمل."

"أجل؛ إن هذا الزمان يحتاج إلى مجدد مهم جدًّا من أجل الإيمان والدين، والحياة الاجتماعية، وإقامة الشريعة، والحقوق العامة، والسياسة الإسلامية، ولكن التجديد القائم على الحفاظ على الحقائق الإيمانية -التي هي أهم هذه النقاط المذكورة- هو أقدس أنواع التجديد وأعظمها وأجلّها، حيث إن إقامة الشريعة والحياة الاجتماعية والسياسية تبقى في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة بالنسبة لها، أما الاهتمام الكبير الوارد في روايات الأحاديث بتجديد الدين فهو يعني التجديد في الحقائق

الإيمانية؛ إلا أن دائرة الحياة الاجتماعية الإسلامية، والحياة السياسية الدينية، الواسعة في ظاهرها والجذَّابةَ من حيث السيطرة والحكم؛ تبدو الأهم في الرأي العام، وفي نظر من يضعون الحياة موضع اهتمام كبير؛ إذ لا ينظرون إلا من خلال هذه العدسة ومن هذه الزاوية فلا يفهمون الحديث إلا حسب هذه النظرة.

ولله الشكر بلا حد أن جعل الشخص المعنوي للطلاب الحقيقيين لرسائل النور في هذا الزمان يقوم بوظيفة التجديد في الحفاظ على الحقائق الإيمانية، حيث يشهد أربعون ألف رجل على أن ذلك الشخص المعنوي لهم تصدى منذ عشرين سنة للهجوم العنيف القوي من الزندقة والضلال تصديا كبيرا، بمنشوراته المؤثرة ذات الفتوح الربانية في تلك الوظيفة القدسية، وأنه أنقذ إيمان مئات الآلاف من أهل الإيمان، وينبغي ألا يُهتمَّ وألا يُنظر إلى شخص عاجز ضعيف لا حول له ولا قوة مثلي على أنه حمل وحده ثقلا يفوق طاقته وحده بآلاف المرات".

ويبين الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في رسالة أخرى له أن العصر عصر الجماعة، ويركز في أمر التجديد على رسائل النور وعلى الشخصية المعنوية لطلاب رسائل النور، ولا يظهر نفسه ولا يقدمها، ثم يؤكد النقاط التالية:

إن ما ترون من مزايا ليس لي، بل لرسائل النور التي هي تفسير لحقيقة واحدة من حقائق القرآن الحكيم، وكما جاء في كل عصر مجددون خدموا الدين والإيمان خدمة تامة؛ فكذلك يجب أن يصبح شخص معنوي مجددًا في هذا

العصر عصر العجائب، وعصر التجمعات، وعصر سيطرة الشخص المعنوي للضلالة على الأمور، ولا يشبه هذا العصر العصور الماضية، فمهما يكن الشخص فذًّا خارقًا في هذا العصر فإنه يمكن أن ينهزم أمام الشخص المعنوي.

فمن المحتمل احتمالا قويًّا من هذه الناحية أن تكون رسائل النور مجددًا نوعًا ما؛ لذا فليست تلك المزايا لي، بل يمكن أن تكون حياتي نواة لرسائل النور نوعًا ما كما كتبتُ مرّاتٍ عديدة، فتلك النواة يجعلها الحق تعالى شجرةً مثمرةً قيمةً عظيمة لرسائل النور بفيض القرآن وبرحمة وإحسان منه تعالى، وما كنت إلا نواة، ثم تفسّخت وماتت تلك النواة؛ لذا فإن جميع المزايا والمحاسن إنما هي لرسائل النور التي هي تفسير القرآن الحكيم.

الابتعاد عن السياسة

لقد أبقى الإمام بديع الزمان سعيد النورسي دعوة رسائل النور وتلاميذها بعيدة عن السياسة الدنيوية المبنية على الكذب، وهو يرى أن خدمة الدين والعلم بواسطة السياسة في زمن عاصف شديد عقيمةٌ ودون جدوى، ويعتقد اعتقادًا جازمًا أن أول وسيلة لكسب الحياة الأبدية هو الإيمان، لذا فهو يرى أنه من الأوجب والألزم أن يعمل المرء بكل همته في هذا العصر من أجل الإيمان، ويقول في هذا الشأن:

"إن أعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب وتزعزع الإيمان بضلال قادم من الفلسفة والعلوم، وإن العلاج الوحيد لإصلاح القلب وإنقاذ الإيمان إنما هو

النور وإراءة النور، فلو عُمل بهراوة السياسة وصولجانها وأُحرز النصر، تدنى أولئك الكفار إلى درك المنافقين، والمنافق أشد خطرًا من الكافر، فصولجان السياسة إذن لا يُصلح القلب في مثل هذا الوقت، حيث يُنزل الكفر إلى أعماق القلب ويتستر هناك وينقلب نفاقًا، ثم إن شخصًا عاجزًا مثلي، لا يمكنه أن يستعمل النور والهراوة معًا في هذا الوقت؛ لذا فأنا مضطر إلى الاعتصام بالنور بما أملك من قوة، فيلزم عدم الالتفات إلى هراوة السياسة أيًا كان نوعها".

لقد وجه الأنظار التي عميت بسبب تحيز سياسي إلى أنوار القرآن بالابتعاد عن السياسة، ولم يُنزِل حقائق القرآن القيمة كالألماس إلى منزلة قطع الزجاج تحت الاتهام بالدعاية السياسية، وقد علم أن السياسة المبنية على المصلحة والمنفعة هي وحش كاسر، وذكر النتائج السيئة للسياسة وقال "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة"، ولم يدخل في الحياة السياسية.

رسائل النور تفسير معنوي للقرآن

التفسير -بإيجاز- هو كشف نكات ومعاني القرآن المخفية وإظهارها وبيانها، ويشبه الإمام أبو حامد الغزالي القرآن ببحر لا ساحل له، وفي أعماق هذا البحر تختفي اللآلئ والدرر واليواقيت والجواهر، إذن فالتفسير هو استخراج هذه اللآلئ والدرر واليواقيت والجواهر المخفية في أعماق هذا البحر.

ومن هنا فإن كل كتاب يتحدث عن دقائق معاني القرآن وحقائقه هو تفسير نوعا ما، ولقد ظهر في هذا الموضوع كتب كثيرة حتى اليوم في العالم الإسلامي.

ورسائل النور واحد من هذه التفاسير التي قامت حول النص القرآني وإن اختلفت في منهجها وطريقتها عن بقية التفاسير، ويبين الإمام بديع الزمان كيف أن رسائل النور تفسير للقرآن، فيقول : "إنني نبهت إلى بيان حقيقة ما قلناه مرارا وتكرارا من أن رسائل النور تفسير حقيقي قويٌّ جدًّا للقرآن الكريم؛ إذ إن بعضا من غير المنتبهين لم يفهموا معنى كلامنا هذا، وتلك الحقيقة هي:

التفسير نوعان:

أحدهما: هو التفاسير المعروفة لدينا، حيث تبيِّن وتوضِّح وتثبت معاني عبارات القرآن وكلماته وجمله.

والقسم الآخر من التفسير: يبين ويثبت ويوضح الحقائق الإيمانية للقرآن بحجج قوية قاطعة، وهذا النوع له أهمية عظيمة، وكتب التفاسير المعروفة تتضمن هذا النوع أحيانا وبشكل موجز؛ إلا أن رسائل النور قد اتَّخذت هذا النوع الأخير أساسا لها مباشرة، وهي تفسير معنويٌّ يقيمُ الحجة على الفلاسفة المعاندين، ويُلزمهم ويُسْكِتُهم بصورةٍ لا مثيلَ لها".

فرسائل النور هي -بعبارة المؤلف- "سوانح واستخراجات قرآنية غالبا ما تَرِد على القلب بفيض القرآن ومدده".

وهي "برهان باهر للقرآن مباشرة، وتفسير قوي له، ولمعة إعجاز معنوي ساطع له، ورشحة من ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وترجمة معنوية ملهمة من ذلك المعدن لعلم الحقيقة، ونابعة من فيضه".

وقد استفاد الإمام بديع الزمان سعيد النورسي من القرآن الكريم مباشرة في أثناء تأليف رسائل النور، حيث تم تأليف تلك الرسائل بعد بحث معنوي، وهو نفسه يشير إلى ذلك ويصرح به فيقول: "يوصي الإمام الرباني بإصرار في كثير من مكتوباته ويقول (وحِّد القبلة)، أي اتخذ واحدا فقط أستاذا لك فاتبعه ولا تنشغل بالآخرين"، ولم توافق وصيته الأخيرة المهمة هذه استعدادي وأحوالي الروحية، ففكَّرْتُ في الأمر طويلا ولكني تحيرت، من أتّبع ؟ أأتبع هذا؟ أم ذاك؟ أم آخر؟ فلكل واحد من هؤلاء مزايا وخصائص جذابة، ولم أكن أستطيع أن أكتفي بواحد، وبينما أنا في هذه الحيرة والتفكير؛ إذا بي يخطر على قلبي -برحمة الله- أن رأس هذه الطرق المختلفة، ومنبع هذه الجداول، وشمس هذه الكواكب هو القرآن الحكيم، ولا يتم توحيد حقيقي للقبلة إلا به، إذن فهو أعلى وأعظم مرشد وأقدس أستاذ، فتمسكت به، واستعدادي الناقص الضعيف المسكين -بلا شك- لا يستطيع أن يستفيض ويرتشف كما ينبغي من فيض ذلك المرشد الحقيقي الذي هو كالماء الباعث للحياة، إلا أننا يمكن أن نظهر ذلك الفيض وذلك الماء الباعث للحياة بواسطة فيضه هو حسب درجات أهل القلوب، وأصحاب الأحوال، إذن فهذه الكلمات والأنوار المنبعثة من القرآن الكريم ليست مسائل علمية عقلية فحسب، بل هي مسائل إيمانية قلبية وروحية وحاليّة، وهي بمنزلة معارف إلهية سامية وقيِّمة جدًّا".

"المتكلم في "الكلمات" -أي في رسائل النور كلها- ليس أنا، بل الحقيقة هي التي تتكلم باسم "الإشارات

القرآنية" وإن الحقيقة تنطق بالحق وتقول الصدق؛ لذا إن رأيتم خطأً فاعلموا يقينًا أن فكري قد خالط البحثَ، وعكّر صفوه، وأخطأ دون إرادة مني".

رسائل النور درس قوي في علم الكلام

قد عُرّفَ علم الكلام منذ أمد بعيد من حيث الموضوع والغاية بتعريفين:

فتعريف علم الكلام من حيث الموضوع هو علم يبحث في أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، وفي المسائل المتعلقة بالنبوة والرسالة، ويتحدث عن أحوال المخلوقات من حيث المبدأ والمعاد حسب النظام الإسلامي.

أما من حيث غايته فهو علم يُكسِب المسلمَ القدرة على إثبات العقائد والمعتقدات الدينية باستخدام الأدلة والحجج القاطعة، وبإزالة الشبه الواردة.

ويلخص العلماء غاية علم الكلام كما في كل العلوم الإسلامية بأنها "تأمين سعادة الدنيا والآخرة"، وتحدثوا كذلك عن غايات علم الكلام وفوائده الثانوية، ويمكن ترتيب تلك الغايات كما يلي:

يرفع إيمان المرء من مرتبة الإيمان التقليدي إلى مرتبة الإيمان التحقيقي، ويرشد الباحث عن الحقّ ويوصله إليه، ويقيم الحجة على الكفرة والملحدين وأهل البدع ويفحمهم، ويخلص أسس العقائد من التزعزع أمام الشبهات التي يطرحها وينشرها أهل الضلال.

ورسائل النور تحتوي على علم الكلام من حيث هذه الغايات المذكورة، إلا أنها تختلف عن علم الكلام المعروف التقليدي من حيث الطريقة والأسلوب، فمثلا يستخدم علم الكلام في التوحيد دليل الحدوث والإمكان، بينما تستخدم رسائل النور دليل النظام والغاية الذي هو طريقة قرآنية، وتجد في كل شيء طريقًا يوصل إلى الحق تعالى.

وقد عبَّر الأستاذ عن هذه الخاصية لدعوة رسائل النور في علم الكلام عند إجابته عن سؤال طالب من طلابه كالآتي:

تسألني في رسالتك أن تتلقى عني علم الكلام، فأنت تتلقاه بالفعل عن رسائل النور، حيث إن جميع الكلمات التي تستنسخها هي دروس علم الكلام المنوّر الحقيقي.

ولقد قال بعض المحققين القدسيين من أمثال الإمام الرباني:

سيبين شخص في آخر الزمان علم الكلام، أي المسائل الإيمانية والكلامية التي هي مذهب أهل الحق بيانًا سيتسبب في انتشار تلك الأنوار أكثر من نشر أهل الكشف والطريقة لها.

ولاشك أَنَّ هذه الإشارة الغيبية كانت من حظ رسائل النور.

محاربة البدع

إن من أهم أسس دعوة رسائل النور محاربة البدع، فيقول الإمام بديع الزمان في مبحث "السنَّة السَّنِيَّةِ": "إن إحداث أمور جديدة في الأحكام العبادية بدعة،

وذلك مردود؛ حيث إنه ينافي سر الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾".

وفي أثناء حديث الأستاذ عن دوائر "الصديق والأخ والطالب" لرسائل النور؛ لم يعد الذي ينحاز إلى البدع حتى صديقًا لرسائل النور فيقول:

"إن شرط الصديق أن يكون مؤيدًا تأييدًا جادًّا لعملنا في نشر رسائل النور والأنوار القرآنية، وألاَّ يميل إلى الباطل والبدع والضلالة قلبًا، وأن يسعى أيضًا ليفيد نفسه".

"نظرت إلى قوافل البشرية الراحلة إلى الماضي، فرأيت أن ركب الأنبياء المكرمين والصديقين والشهداء والأولياء والصالحين أنور تلك القوافل وأسطعها، حتى إن نوره يبدد ظلمات المستقبل؛ إذ إنهم ماضون في جادة مستقيمة كبرى تمتد إلى الأبد.. فقلت: ياسبحان الله، ما أفدح خسارة وهلاكَ مَن ترك الالتحاق بهذه القافلة النورانية العظمى التي مضت بسلام وأمان، وأزالت حجب الظلمات، ونورت المستقبل! إن من يملك ذرة من شعور لابد أن يدرك هذا، وإن من ينحرف عن طريق تلك القافلة العظمى بإحداث البدع؛ أين سيلتمس النور ليستضيء، وإلى أين سيسلك؟.

فلقد قال قدوتنا الرسول الأكرم -صلى الله عليه وسلم- "كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار"، فأية مصلحة يجدها بعض الشقاة الذين يستحقون أن يطلق عليهم اسم "علماء السوء" إزاء هذا الحديث الصحيح، فيفتون بمعارضةِ بعض من بديهيات الشعائر الإسلامية، بما فيه ضرر ومن غير ضرورة، ويرون أن تلك الشعائر

قابلة للتبديل؟! فإن كان ثمة شيء، فلربما انتباهٌ مؤقتٌ ناشئٌ من سطوع المعنى المؤقت هو الذي خدعهم".

ومن تلك البدع التي ظهرت في زمن تأليف رسائل النور بدعة الحروف الأجنبية، بل تعدها رسائل النور من أعظم بدع آخر الزمان ومن أكبر فتنه فتقول:

إن رجال السوء الذين يظهرون في آخر الزمان –الذي هو وقت انتشار تلك البدع والحروف الأجنبية– هم علماء السوء الذين يساندون البدع ويجيزونها كي يملأوا بطونهم بالحرام بسبب الحرص، فخالفتْ بذلك الحروف المحدثة، ورأت أن الدفاع عن الحروف القرآنية والحفاظ عليها هو من أهم وظائف تلاميذها.

ويبين الإمام في كثير من رسائله أن رسائل النور تسعى إلى الحفاظ على الحقائق الإيمانية ضد الزندقة، وأن الحفاظ على الحروف القرآنية وكتابتها ضد البدع هو وظيفتها.

إذ إن الانحياز والميل إلى البدع –حسب فكره– ليس كبيرة فحسب، وإنما من أكبر الكبائر، وقد قال في رسالة كتبها في بارلا : "إنكم تسألونني عن الكبائر السبع، والكبائر كثيرة، ولكن الآثام التي توصف بـ "أكبر الكبائر" أو "الموبقات" سبعةٌ، وعدَّها كالآتي: القتل، والزنا، والخمر، وعقوق الوالدين والميسِر، وشهادة الزور، والميل والانحياز إلى البدع التي تضر بالدين".

الحفاظ على القراءة والكتابة بالحروف القرآنية

إن الإمام بديع الزمان سعيد النورسي وتلامذته يهتمون بتعليم ما يسمى بـ "اللغة العثمانية" ونشرها بين شعب

تركيا، وهي في حقيقتها ليست إلا القراءة والكتابة بـ "الحروف القرآنية".

وهذا العمل له أبعاد علمية وثقافية وسياسية خطيرة حيث إن شرْحه وإيضاحه يتطلب مئات من الصفحات وقد لمحنا إليه تحت عنوان محاربة البدع، ونحن بدورنا سنشير هنا إلى ما في هذه القضية من نقاط رئيسة، ونحيل القارئ الكريم إلى ما بينه الإمام المجدد بديع الزمان سعيد النورسي في رسائله المسماة "برسائل النور"، حيث سطر مئات من الصفحات في بيان وإيضاح أهمية هذه القضية التي كانت منسيةً بين أبناء من حملوا راية الإسلام قرابة ألف سنة.

إن الإمام بديع الزمان رحمه الله قد اهتم بالحروف العربية اهتماما بالغا، وجعلها من أهم القضايا الرئيسة التي تبناها ودافع عنها وربَّى تلامذته عليها، حيث كان يصب اهتمامه في الدفاع عن السنة النبوية وشعائر الإسلام وإحيائها ومحاربة البدع؛ لذا نجده يسمي الحروف التي كتب بها شعب تركيا منذ ألف سنة "الحروف القرآنية" أو "الحروف الإسلامية" ولم يقل "الحروف العربية" أو "العثمانية" إلا نادرا، وبضرورة السياق، وكان يقول: "إن وظيفة مهمة من وظائف رسائل النور هي الحفاظ على الحروف العربية التي هي خط وكتابة أغلب دول العالم الإسلامي".

هذا الاهتمام له جذور لا تنتهي عند الإمام النورسي وحده، بل تمتد عبر القرون الإسلامية إلى أبعد منه بكثير؛ حيث اهتم بها علماء المسلمين على اختلاف أوطانهم ولغاتهم وعصورهم؛ إذ كلما دخل قوم من أقوام غير

العرب الإسلامَ اهتموا بتعلم الحروف القرآنية وعدوها قضية من القضايا المتعلقة بالإسلام بجانب قضايا إسلامية كثيرة أخرى، حيث كانوا يرون الحروف القرآنية شعيرة من شعائر الإسلام التي تُذكِّرهم بدينهم وقرآنهم ورسولهم، وتلفت نظرهم إلى ما بينهم من نقاط الوحدة والاتحاد على اختلاف بلادهم ولغاتهم، حتى جاء عهد الاستعمار وانقطعت الصلة بين المسلمين وبين كثير من قضاياهم، فأصبحت تلك القضية من القضايا المنسية.

لذا تجد أقوام الشرق الأقصى من ماليزيين وأندونيسيين وطايلانديين وغيرهم كتبوا وقرأوا لغاتهم بالحروف القرآنية مع أن لغاتهم ليست اللغة العربية، وكذلك مسلمو الصين وتركستان الشرقية وباكستان وأفغانستان وإيران ودول آسيا الوسطى الكثيرة، ودول إفريقيا متأثرون باستخدام الدولة العثمانية الحروف القرآنية في كتابتها اللغة التركية طوال العصور مع أنها دولة تركية.

وهنا نذكر حواراً خطيرا دار بين مفتي أوزبكستان وكان مفتيا عامًّا لجميع دول آسيا الوسطى، وبين أحد الأتراك، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، حيث قال للمفتي: إذا نشرتم الحروف اللاتينية في دول آسيا الوسطى التي تتكلم باللغة التركية فسيكون هذا سبب اتحاد مائة وخمسين مليون تركي، فرد عليه المفتي ردا تاريخيًّا وقال: وأنتم إذا قبلتم ونشرتم الحروف القرآنية فسيكون هذا سبب اتحاد مليار ونصف المليار من المسلمين.

وقد كرّس الإمام النورسي مع تلامذته مجهودات لا مثيل لها في سبيل هذه القضية؛ حيث ألَّف كل مؤلفاته

البالغة أربعة عشر مجلدا بالحروف القرآنية وباستنساخ اليد، حتى وصل عدد المجلدات المستنسَخة سرًّا وبخط اليد إلى أكثر من مليون نسخة، ولم يسمح بطبعها بالحروف اللاتينية إلا في أواخر أيام حياته، وبقدر الضرورة؛ حتى يجلب أنظار الجيل الجديد إلى تلك الحروف القرآنية، ووضَعَ كتابة واستنساخ الحقائق الإيمانية والقرآنية التي وردت في رسائل النور شرطا من الشروط الأساسية لطلاب رسائل النور حيث قال:

"إن أهم وظيفة لمن انتسب إلى رسائل النور هي كتابتها واستنساخها أو جعل الآخرين يكتبونها ويستنسخونها، والسعي لنشرها، فالذي يستنسخها أو يجعل الآخرين يستنسخونها يكتسب عنوان (طالب رسائل النور).

فمن هذا المنطلق يهتم جميع تلاميذ الإمام النورسي رجالا ونساء وأطفالا وشبابا وشيوخا بتعلّم وتعليم القراءة والكتابة بالحروف العربية التي يصفونها بـ"الحروف القرآنية".

انتشار دعوة رسائل النور وأحمد خُسْرَوْ آلتين باشاق

لقد قاوم الإمام بديع الزمان مع تلاميذ –في بداية أعوام سقوط الخلافة العثمانية العظمى– كل التيارات المعادية للإسلام بمجاهداته وبدعوته التي كانت تحتضن العالم الإسلامي كله في تلك الأوقات الصعبة القاسية، التي كان يتجنب فيها كثير من الناس النضال جهارًا، وكان أقل تحرك لحساب الإسلام حينئذ يُكَلِّفُ أثمانا باهظة.

وبينما لفّ اليأس الكثيرين وشملهم، ودق أوتاده وشد أطنابه على قلوبهم؛ كان هو وتلاميذه ينظرون إلى المستقبل بأمل وعزم وثبات، ويجاهدون ويناضلون بكل قوتهم وجهودهم من أجل إنقاذ الجيل الجديد من فتن آخر الزمان التي عمَّت زمانهم، ولبَّدت سماء عصرهم.

وكان طلاب النور في سبيل ذلك يُتَّهمون من أجل الحفاظ على الحقائق الإيمانية والشعائر الإسلامية والإعلان عنهما بتهم تأسيس جمعية غير قانونية، والمطالبة بحكم الشريعة وممارسة نشاطات تتعلق بتغيير المبادئ الأساسية للدولة بغية إقامة الخلافة الإسلامية، ويساقون من محكمة إلى محكمة ويُزَجُّ بهم في السجون، فيبقون فيها سنوات عديدة ثم يخرجون، فيدفعون -من جرَّاء دعوتهم هذه- ألوانًا من الأثمان الباهظة بحياة السجون والمنفى التي يواجهونها، وبشلل حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، ومع كل هذا كانوا يثبتون على دعوتهم بما يأخذونه من فيض من رسائل النور.

ويصور الإمام الكبير بطل المعاناة هذه اللوحة في سيرته الذاتية فيقول:

"إنني لا أعرف طوال عمري البالغ نيفًا وثمانين سنة عن متع الدنيا شيئًا، قضيت كل حياتي في ميادين الحرب، وزنزانات الأسر، أو سجون البلاد ومحاكمها، وما من لون من ألوان المعاناة والأذى إلا وتجرَّعته، عوملت في المحاكم العسكرية وكأنني مجرم، ونفيت في طول البلاد وعرضها كالمشردين، ومُنعتُ من مخالطة الناس شهورًا في زنزانات البلاد، وسُمِّمتُ مرارًا، وتعرضت لإهانات متنوعة."

وتحت كل هذه الظروف والمعاناة كان الأستاذ بديع الزمان يرسل الرسائل التي ألفها في هذا السياق القاسي في أجزاء متفرقة إلى مركز الدعوة النورية (إسبارطة) ، إلى الأستاذ أحمد خُسْرَوْ آلتين باشاق الذي شارك الإمام في حياته المليئة بالمعاناة، وشاركه نفس الغايات، وبقي بجواره دومًا، والذي حُكِمَ عليه بالإعدام مع إمامه وطلاب النور الصادقين في محاكم مدن أسكي شهر ودنيزلي وأفيون، والذي سمم مع الإمام وطلاب النور في سجن دنيزلي، وحفظهم الله جميعا في هذه المحنة، إلا أن الحافظ علي وقع شهيدًا من بينهم في هذه الحادثة، رحمة الله عليه.

وكانت رسائل النور تُسْتَنْسخُ نسخًا كثيرة باليد من قبل طلاب النور من ناحية، وبآلة النسخ من ناحية أخرى تحت إشراف الأستاذ أحمد خُسرَوْ، وترسل إلى كافة أنحاء البلاد، وجميع خطابات طلاب النور في جميع أنحاء البلاد كانت تصل إلى الإمام بواسطته هو، وكان يرد على هذه الخطابات بنفسه في كثير من المرات بناء على رغبة الإمام، وتكليفه له بذلك.

ويتحدث الإمام بديع الزمان عن وظيفة الأستاذ أحمد خُسْرَوْ الذي لقَّبه بـ "مصنع الوَرْد" من حيث إدارته دعوة النور وتنسيقها، فيقول:

"إننا نبارك خُسْرَوْ في التصحيح والتوزيع والتدبير والمخابرة، ونشر الأنوار، وإيصالها، إلى الآخرين وندعو له بالتوفيق، ونحن نرى مع هذه الوظائف المهمة كتابات قلمه البديع اللطيف في كثير من النسخ التي كتبها ...

وإن فكر خُسْرَوْ العالي جدًّا وذا الكرامة والصواب والنفع الدائم ثمين وذو قيمة في خدمة القرآن".

إن الإمام بديع الزمان -الذي أعطى الأستاذَ أحمد خسرو صلاحية لم يعطها لأي تلميذ آخر من تلامذته، وهي صلاحية التدخل في رسائل النور قائلا: "يمكن أن يُعدِّل خُسْرَوْ ويبدل ويصحح المواضع التي يراها غير مناسبة"- قد أبان عن الموقع الخطير الشأن للأستاذ أحمد خُسْرَوْ في خدمة نشر رسائل النور حين أراد أن يفدي الإمام ويموت بدلا منه عندما سُمِّمَ في محافظة أميرطاغ وهو منفي فيها؛ بهذا الجواب الذي رد به عليه، وأشار إشارة مهمة متوجهة إلى المستقبل فقال : "إن بطل رسائل النور خسرو يريد أن يموت ويمرض بدلا مني بإخلاص وصدق من صميم قلبه، وأنا أقول: الوقت وقت النشر وليس وقت التأليف، وإن حياتك مفيدة ونافعة في الدعوة النورية أكثر من حياتي المليئة بالعذاب والمشقة، كما أن كتابتك أجمل وأنفع للنشر من كتابتي، فلو كان باستطاعتي أن أعطيك من حياتي وصحتي لأعطيتك بكل السرور والرضا".

نبذة عن حياة خُسْرَوْ أفندي

لقد ولد أحمد خُسْرَوْ أفندي في قرية سنيرجة التابعة لولاية إسبارطة سنة (١٨٩٩م - ١٣١٥هـ).

إنه حفيد علي أفندي ابن السيد الحاج أدهم الذي هو من وُلَاةِ إسبارطة في العهد الأخير للدولة العثمانية، وأبوه السيد محمد وأمه السيدة عائشة.

وإن شجرة نسب أبيه -الذين يُعرفون باسم "ذوي العمائم الخضراء" والذين هم من أشراف إسبارطة- تصل إلى سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، وأما نسل أمه السيدة عائشة فيأتي من أولاد الرسول من سيدنا الحسين رضي الله عنه، فضلاً عن أنها تنتسب إلى عائلة نبيلة، ويُعرف أجدادها بأنهم حفّاظٌ وقُرّاءٌ.

وفي عام ١٩٢٦م الذي نفي فيه الإمام بديع الزمان إلى قرية "بارلا" ذهب خُسْرَوْ أفندي لزيارة الإمام بناء على رؤيا رآها، ومن ذلك الحين أصبح من أوائل تلاميذه، ورفيقه في الدعوة النورية، ومساعده، وأهم ركن في دعوته.

خُسْرَوْ أفندي كما وصفه الإمام بديع الزمان

إن "الإمام بديع الزمان" الذي وصف طلابه دائمًا بـ"خُسرو ولاية قسطموني" و"خسرو ولاية دنيزلي" و"خُسْرَوْ الثاني" و"خُسْرَوْ الصغير" متخذًا "خُسْرَوْ أفندي" مقياسًا، قد أشار كثيرًا إلى المقام المعنوي لـ"خُسْرَوْ أفندي" وخدماته، ودعا طلابه إلى احترامه وتقديره.

ثم إنه رأى أن القوى الخفية قد أدركت هذا المقامَ العالي لـ"خُسْرَوْ أفندي" عند "الإمام بديع الزمان" وطلابِه، وأدركت موقفَه من دعوة رسائل النور ؛ تلك القوى التي تخطط مكائد ودسائس لزعزعة هذا الوضع؛ فحذّر طلابه من الانخداع لمثل تلك المكائد قائلاً: "إن أعداءنا الخفيين يتبعون خطتين اثنتين؛ إحداهما: التهوين من شأني بشتى أنواع الغدر والإهانة، وثانيتهما: بث الجفاء فيما بيننا،

وتفرقتنا بنشر روح الانتقاد والاعتراض والاستياء فيما بيننا ولاسيما مع "خُسْرَوْ"، إنني أعلن لكم: لو كان لـ"خُسْرَوْ" ألف تقصير فإني أخاف من أن أكون مخالفا له؛ لأن مخالفته خيانةٌ عظيمة لرسائل النور مباشرة، ولي بالذات، ولصالح من يظلموننا ويضيّقون الخناق علينا".

ومن الواجب أن نقبل أن هذه العبارات من الإمام ليست عبارات ثناء هينة بسيطة تقال في حق كل أحد؛ إذ إن الإمام يثني على كثير من تلاميذه الذين سبق أن خدموا الدين ويصفق لخدماتهم وما قاموا به من أعمال، ولكنه لم يذكر هذه العبارات في حق أي واحد منهم بهذه الصورة.

إن الإمام بديع الزمان الذي وضع "خُسْرَوْ أفندي" في درع معنوي تجاه الأخطار والفتن الداخلية والخارجية، طلب من طلابه أن يحترموه وأن يزوروه هو أيضًا، وألا يستاءوا منه لموقفه المتميز في هذه الدعوة، فالعبارات التالية للإمام بديع الزمان في هذا المقام في حكم تنبيه لطلابه ووصية لهم، فيقول: "يجب ألا يُستاء من بطل رسائل النور "خُسْرَوْ" لكونه في مكاني ولكونه ممثلاً مهمًّا جدًّا للشخصية المعنوية لرسائل النور".

إن عبارات الإمام صريحة وواضحة لا تحتاج إلى دليل وبحث آخر، وإن رسائل النور ملك للجميع وفي متناول كل واحد، وليست حكرًا على أحد، ويصف لنا الإمام خُسْرَوْ أفندي في وصية له بهذه العبارات فيقول:

"إنني أعلن وأثبت أن خُسْرَوْ الذي يعامل معاملة باردة في هذا البرد، ويُشاع أنه مُضِرٌّ للبلد وهو مريض عليل

سلمه الله؛ هو بطل معنوي كبير للشعب التركي ومنقذ لهذا البلد ، ومضحٍّ صادق يفتخر به الشعب التركي، وقد نال الإخلاص الكامل التامّ نيلا تامًّا، وليس عنده شيء من الرياء أو حب الشهرة، ومن ثم حان وقت بيان بعض من خدماته لهذا البلد ولهذا الشعب:

إنه قد استنسخ ما يقرب من ستمائة رسالة من رسائل النور بقلمه الخارق اللطيف، ونشرها في أرجاء البلاد، وكسر شوكة الإرهاب الذي يسعى إلى الإفساد الشديد في هذا البلد تحت ستار الشيوعية، وحال دون انتشاره وسيطرته، وأوصل الأدوية الفعالة المؤثرة إلى كل الأنحاء من أجل إنقاذ هذا الوطن وهذا الشعب من ذلك السمّ، وأصبح وسيلة لإنقاذ الشباب التركي والأجيال القادمة من خطر كبير.

وقد أنعم الله تعالى على هذا الشعب ببطل من أبطال رسائل النور وهو خسرو، وكنت أخفي خسرو من أهل الدنيا ولا أكشفه لهم".

ويجعل اتخاذ موقف ضد خُسرَوْ مساويًا تمامًا لاتخاذ موقف ضد رسائل النور وضده هو شخصيًا، وكان ينبه دائمًا بعضًا من تلاميذه ويحذرهم من احتمال وقوعهم في فخ الخيانة بالانخداع بمخططات الأعداء المتسترين.

وقد كان خسرو أفندي في طليعة أكابر تلاميذ رسائل النور الذين كان لهم دور بارز في جميع مراحل دعوة رسائل النور، والذين حوكموا في جميع الدعاوى المرفوعة ضد هذه الدعوة في المحاكم، والذين عانوا معاناة شديدة

من أجل هذه الدعوة منذ أول يوم من أيامها حتى انتقال الإمام إلى دار البقاء، بل حتى آخر نفَس من أنفاسهم بعد رحيل الإمام.

ومن أجل ذلك وَرَد اسمه في كليات رسائل النور أكثر من غيره من تلاميذ رسائل النور.

وعلاوة على ذلك تُؤيِّد المصادر الرسمية والشفاهية هذه المكانة في دعوة رسائل النور لـ"خسرو أفندي" الذي بشّر الإمامُ بديع الزمان بنيله الإخلاص التام والرضا النبوي، فمثلاً إن العبارات الآتية التي وردت في ورقة الاتهام لـ"الإمام بديع الزمان" والتي حُرِّرت من قِبَل نيابة ولاية "إسبارطة" والتي تصف "خسرو أفندي" للافتة للأنظار، بل فيها عبارات قوية مع أنها لا تتناقض مع العبارات التي في رسائل النور ، ومن هذه العبارات ما يلي:

"المتَّهَم خسرو آلتين باشاق: يَعرف سعيدَ النورسي منذ ٢٢ سنة، ويقرأ مؤلفاته، ويستنسخها ويقوم بتوزيعها، ويستنسخ حتى الخطابات التي كتبها سعيد النورسي، ويرسلها إلى من يريد أن تصل إليه، ويطلقون على من يقرأ هذه المؤلفات والخطابات اسم "طالب النور"، ويقبلون النورسي أستاذا، ويسمون جماعتهم المعنوية بـ"مدرسة الزهراء"، ورُفع أمره إلى المحاكم مرات عديدة مع سعيد النورسي حتى سُجن، وإن المخطوطات التي عُثر عليها في أثناء التحري في بيته مؤلَّفة من قِبل سعيد النورسي، و كان يرسِل هذه المخطوطات إلى أحد المتهمين وهو "طاهر موطلو" ليكتبها على الأوراق

المشمّعة ويستنسخها، وعُثِر في بيته على خطابات تخص سعيد النورسي، وكانت ترسَل هذه الطرود والخطابات إلى "رشدي جاكين"، وكان من أقدم طلاب رسائل النور وأنشطهم، وكان أكثر من يثق به سعيد النورسي من بين رجاله، ومن ثَمَّ يُعْرَفُ بين طلاب النور بأنه "أستاذ ثان" بعد النورسي... وكل هذه المعلومات ثابتة بإقرار المتّهَمين، وبشهادة الشهود، وبالوثائق التي عثر عليها في أثناء التحريات".

لم تتغير أبدًا تصرفات خُسْرَوْ أفندي المخلصة تجاه أستاذه ورفاقه في الدعوة إزاء اهتمام الإمام بديع الزمان به، وتوجه طلاب النور إليه.

ثم إن رسائله التي كتبها لأستاذه في حكم رسائل مشوّقة وجيزة تبين قيمة رسائل النور، وبمنزلة رسائل آداب تبيّن لطلاب النور كيفية التأدب مع أستاذهم ومع رسائل النور واحترامهما، وبمنزلة رسائل إخلاص تشهد على تأثير رسائل النور -التي تسيل مندفعة من بحر القرآن الذي لا ساحل له- في روح البشر.

وهذه الرسالة خير مثال لهذا؛ حيث يقول فيها خُسرَو أفندي:

إن تلميذكم الذي كل جانب من جوانبه وحال من أحواله مليء بالتقصيرات والنقائص قد بسط وجوده تحت أقدام أستاذه الجليل، وحتى لو عومل معاملة عنيفة كل يوم أعنف من هذه المعاملة، وكان له ألف روح؛ فهو مستعد ليس استعدادًا صوريًا -بل باعتراف قلبي- لأن يضَحي بها

في سبيل أستاذه دون تردد، وكان تلميذكم المذنب يسأل خالقه منذ سنوات حاميًا يحميه، فلو دُقِّقَ في صحيفة أعمالي المليئة بالسواد من أولها إلى آخرها لظهرت فيها كثرة تضرعاتي وابتهالاتي ودموعي، فلو أن لي أرواحًا بعدد سكان الأرض فإني أعتبر أن التضحية بكل واحدة منها سعادة عظمى وشرف كبير في سبيل خدمة القرآن.

فيا أستاذي الحبيب، ويا شيخي العزيز، ويا مرشدي الجليل الذي بحثت عنه سنوات عديدة، ويا أيها الداعي العزيز إلى القرآن، إنني أشعر أن معاناتي تنقلب إلى سرور وسعادة.

مصحف التوافقات

إن الإمام بديع الزمان سعيد النورسي الذي جعل خدمة القرآن أعظم غاية وهدف لحياته يُبَيِّنُ لإنسان هذا العصر الذي انحدر عقله إلى عينيه، والذي أصبح يشك بسبب الفلسفة المادية في وجود شيء لم يره، أنه حتى في كتابة القرآن إعجاز يخاطب العيون، وكان يرغب في أن يكتب المصحف كي يظهر فيه هذا الجمال اللطيف ذا المعاني الذي يسمى بـ"التوافقات".

ومن أجل تحقيق أمله هذا وزّع على كل واحد من عشرة من تلاميذه العلماء ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم، وطلب منهم أن يستخرجوا خواصَّ التوافق الموجودة فيه أصلا، وأوصاهم في أثناء القيام بهذا العمل أن يتَّخذوا مقياسًا لهم المصحف الذي كتبه الخطاط الكبير الحافظ

عثمان، ذلك المصحف الذي تبدأ كل صفحة فيه بآية وتنتهي بآية، وأن يعملوا بإخلاص تَامٍّ وألاَّ يدخلوا اختيارهم وإرادتهم في ذلك ونبّههم قائلاً: لا تدخلوا اختياركم، ولا تعدموا ما هو موجود أصلاً، فتقدم لكتابة المصحف التوافقي كل من أحمد خُسرَوْ أفندي، وهو من أقرب تلاميذ الإمام النورسي، والحافظ علي، والأستاذ خالد، والمُعَلِّم غالب، والأستاذ صبري، والحافظ زهدي، وحقي الطغلي، والحافظ توفيق الشامي، وكل واحد من هؤلاء إما حافظ للقرآن الكريم، وإما أستاذ، وإما معلم للخط العربي، وسلَّموا الأجزاء للإمام بعدما كتبوها.

ويبين الإمامُ النتيجةَ بعد تحقيق طويل كالآتي:

"إن التوافق هو في أسلوب خُسرَوْ؛ لذا فإن كان لخسرو مهارة فهي أنه لم يخل بالتوافق، وكنت قد أوصيت بألا يُدْخِلَ أحد مهارته؛ إذ إن أعظم مهارة هي عدم الإخلال بالتوافق؛ إذ التوافق موجود، فمع أن خُسْرَو لم يستطع أن يلحق بهم في الخطِّ العربيّ فإنّه تفوّق فجأة على جميع هؤلاء الخطّاطين ومعلّمي الخطّ العربيّ، وسبق أكثرهم إتقانًا في الخطّ العربيّ بعشر مرّات، فأقرّ هؤلاء جميعًا بقولهم: أجل؛ إنّه سبقنا وتفوّق علينا ونحن لا نستطيع أن نبلغ شأوه في هذا الأمر".

"إذن فقلم خُسْرَو يُظْهِرُ كراماتٍ وخوارق شبيهة بالمعجزات للقرآن المعجز البيان ولرسائل النور".

ففي مصحف التوافقات تأتي جميع ألفاظ الجلالة البالغة ألفين وثمانمائة وستة في القرآن الكريم إما بعضها تحت

بعض في صفحة واحدة، وإما وجهًا لوجه في صفحات متقابلة، وإما بعضها في ظهر بعضها الآخر في صفحات أخرى، أي تتوافق بعبارة خاصة، ثم إنّ كلمات كثيرة تنشأ عن أصل واحد، و تحمل المعاني نفسها، أو تحمل المعاني المتقاربة؛ تتوافق بانسجام لطيف.

ويظهر التّوافق ظهورا بديعا عجيبًا في قلم الأستاذ أحمد خسْرَو آلتِين بَاشَاق اللّطيف العجيب، حتى عبَّر الأستاذ بديع الزّمان عن هذا بقوله: لو فهم العقل لقال "سُبْحَانَ اللهِ"، ولو أدرك القلب لقال "بَارَكَ اللهُ"، ولو رأتْ العين لقالت "مَا شَاءَ اللهُ".

أجل؛ إن كاتب مصحف التوافقات قد ظهر، إنه أحمد خسرو آلتين باشاق.

ويعبر الإمام بديع الزمان في عدة رسائل عن ارتياحه ورضاه عن قلمه بهذه العبارات: "يا خسرو العزيز والصدّيق والمبارك الذي أظهر وجها من وجوه إعجاز القرآن بقلمه البديع، والذي يُكتَب في دفتر حسناته وصحيفة أعماله باستمرار ثواب من يقرءون ذلك المصحف الذي كتبه".

"ما شاء الله، بارك الله! إن قلم خسرو الذي صار مفتاحا ذهبيا للقرآن الكريم لا يجعلُنا نُسَرُّ فحسب وإنما الملائكة والروحانيين أيضا يُسَرُّون".

"يا خسرو، فكِّر في دعوات الرحمة التي ستنزل على روحك من عالم الإسلام مع طبع مصحف التوافقات الذي كتبتَه واحمد الله واشكره".

قد كتب خسرو أفندي المصحف تسع مرات، ثلاث منها في حياة الإمام بديع الزمان، وست منها بعد رحيله.

وملايين من الناس في العالم الإسلامي يقرءون اليوم مصحف التوافقات الذي طبع في سنة ١٩٨٤م من قبل وقف الخيرات الذي أسسه مع تلامذته، ويرسلون دعوات الرحمة إلى روحه، رحمة الله عليه.

دعوة رسائل النور بعد رحيل الإمام النورسي

إن خُسْرَوْ أفندي رحمه الله تمسك بدعوة النور، ولم يَحِدْ عن مبادئها الأصلية، وحافظ عليها في زمن ظهرت فيه تغيرات وتحولات وجماعات مختلفة تحت سقف رسائل النور بعد رحيل الإمام بديع الزمان، وأصبح سببًا مهمًا في وصول دعوة رسائل النور إلى يومنا هذا بدون أن تتلوث بأية ملوثات معنوية.

واستمر في عمله الدعوي بعد وفاة الإمام بديع الزمان دون أن يحيد عن مسلك "رسائل النور" وعن طريق الأستاذ النورسي قيد أنملة، ودون أن يخرّب أو يحرّف الميراث المعنوي للإمام بديع الزمان، واتخذ اتباع دساتير ومبادئ دعوة النور دون أن يئولها، واتباع السنة السنية ومخالفة البدع؛ مقصده الأساسيّ.

إن خسرو أفندي لم يحولْ أعماله الدعوية إلى ثروة، بل ضحى بكل ثروته في سبيل دعوته كما يشهد لسان حال حياته، ولم يسمح لنفسه أن يعيش عيشا رغيدا على الرغم من ثروته المعروفة، وإنما عاش في بيت خصصته له شقيقته.

ويجب أن ننوه إلى أن خسرو أفندي -وكذلك تلامذته الذين لازموه- لم يجعل هذه الدعوة الخالصة أداة لأية فتنة سياسية رغم مخالفة قسم من إخوانه له، وابتعادهم وانفصالهم عنه، منجرِّين وراء جاذبية السياسة في وقت بدأت فيه انقسامات محزنة، ولم يجعل دعوة النور القرآنية أداة لتحقيق أهداف ومآرب لصالح جهات أخرى في تلك السنوات المضطربة.

ولم ينحرف ولم يمل خسرو أفندي إلى البدع؛ بل حافظ على أهم مبدأ من مبادئ دعوة النور، ولم يقدم أدنى تنازلات لدوائر داخلية أو خارجية، أو لمن يوزعون مناصب ومقامات دنيوية في عالم السياسة، بل حافظ على عزة وكرامة دعوته طوال حياته.

وبوقفته الأصيلة الأبية هذه أصبح سببا لوصول دعوة النور إلى يومنا هذا صحيحة سليمة، وحقق بخدماته الدعوية ما قاله أستاذه في حقه: "ولأنه نال بحقٍّ سر الإخلاص فلا توجد فيه الأنانية وحب الظهور والشهرة؛ لذا فهو ممثل مهم جدا للشخصية المعنوية لرسائل النور بدلا مني"، حيث صار الأستاذ أحمد خسرو أفندي مدارا قويا لوظيفة الإمام الأخروية، وخير خلف له، ووارثا أمينا لأجزاء رسائل النور بعد رحيل أستاذه الإمام بديع الزمان.

سجن بعد رحيل الإمام في سجون "إسبارطة" و"أسكي شهر" و"بورصة" و"برغاما" و"بوجة"،

وبعدما أطلق سراحه من السجن أسس في أواخر أيام حياته مع تلامذته "وقف الخيرات" في إستانبول، ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى انتقل إلى عالم الآخرة في شهر رمضان المبارك لسنة ١٩٧٧م مخلفا وراءه آلافا من تلامذة النور، رحمة الله عليه.

كانت همة هؤلاء على قدر إيمانهم واستطاعوا أن يصبروا على المشقات والمعاناة في سبيل سلامة الإيمان للأمة المحمدية، وكانوا أناسًا ممتازين، اتخذوا خدماتهم تلك في سبيل رضا الله سبحانه أهم وظيفة لحياتهم، ولم يقيموا وزنًا للدنيا.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا نسير في ركابهم، ونقتدي بخطاهم، وألا نحيد عن تلك الأهداف النورانية، والاستقامة في مواجهة الإيمان والكفر في خضم فتن آخر الزمان، آمين.

علي كورت

نائب الأمين العام لاتحاد المنظمات

الأهلية في العالم الإسلامي

مقدمة الترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا لمّا، والشكر لله شكرا جمّا، بايَن بين الفهوم والمعتقدات كما خالف بين الصور والهيئات، والصلاة والسلام على النبي الأمي الهادي للنور، والسراج المنير حامل راية الحق المبين، ومبطل باطل المبطلين، وبعد؛

فتجيء ترجمتنا هذه التي بين يديك -قارئنا- العزيز حصاد فكر، وجنْي جهد، وثمرة عناء ليس باليسير، ووفقَ ضوابطَ ومعاييرَ حاكمةٍ ليست بالهيِّنة، ولا بالسهلة الْمَأْتَى.

وتفصيل هذا الإجمال فيما يأتي:

توجيه وإرشاد:

لقد وجّه وحث الأستاذ أحمد خُسْرَوْ -رحمه الله- كاتب المصحف الشريف وتلميذ الأستاذ بديع الزمان، وخليفته الأول؛ على ضرورة ترجمة رسائل النور، ليس إلى لغة واحدة وحسب، وإنما إلى اللغات الحية العديدة، وعلى رأسها لغة القرآن الكريم؛ لينتشر نورها ويعمّ نفعها.

ولم يكن توجيه الأستاذ أحمد خسرو -رحمه الله- توجيها عاريًا عن الضابط، ولا خِلْوًا من المعيار، وإنما كان توجيها مبصرا ودقيقا.

ومما أشار إليه ضرورة أن يقوم بترجمة الرسائل أتراك يجيدون اللغات المترجم إليها، ويكاتفهم ويؤازرهم في الآنِ ذاتِه آخرون ممن لهم كِفْلٌ من التركية من أبناء تلك اللغات المزمع الترجمة إليها.

ومن ثمّ؛ فقد انبرى لتلكم الترجمة التي نحن بصدد التقديم لها -على ضوء التوجيه السالف ذكره- نفر من بني جلدة رسائل النور، أولئكم الذين جاءت الرسائل بلسانهم، نفر فهموها وتدارسوها وسبروا أغوارها، فتعلموا لغة القرآن وبذلوا النفس والنفيس في سبيل إتقانها، والوقوف على دقائقها وأساليبها، ورحلوا في سبيل ذلك عن ديارهم، ووضعوا عصا التَّسيار في الأقطار العربية قُطْرًا بعد قُطْرٍ، ليعايشوا أهل العربية ولسانهم، وليقفوا على عاداتهم في لغتهم وأسلوبهم.

وفي الوقت ذاته آزرهم نفر آخرون من العرب الذين تربوا في المدرسة النورية ذاتها، وعندهم بُلْغَةٌ تُقيمُ الأَوَدَ في معرفة اللغة التركية والعثمانية التي كُتِبَ بِهَا النَّصُّ الأصليُّ للرسائل.

فلسفة عميقة:

ولا يخفى على من طالع رسائل النور وجَالتْ عينُه فيها ما تَتَمَتَّعُ به من عمق فلسفي، فالإمام سعيد النورسي عندما



كتب هذه الرسائل أو أملاها لم يكن يملي أو يكتب بعقل بشري ذي طور عادي، وإنما كان في حالات استعداد خاصة تفوق الأطوار العادية للعقل البشري إن لم يكن أُلهمها إلهاما، فجاءت الرسائل مِعْوَلَ هَدْم يَفُتُّ في جُدران الفلسفات الغربية المجانبة للعقيدة الفطريةِ الإسلامية فَتًّا، ويهدمها هدمًا، فحملت في طَيَّاتِهَا أَدِلَّةً عقليةً وبراهينَ منطقيةً تُخاطبُ العقلَ كما تؤثر في القلب، وتغوص في أعماق النفس البشرية فِكْرانِيَتِهَا ومَاهِيَّتِهَا.

ومن ثَمَّ كانت دقيقةَ الأسلوب حَسَّاسَتَهُ، عميقةَ اللغةِ صعبةً مَأْتَاهَا.

ومن هنا كان تناول هذه الرسائل -درسًا أو ترجمة- فيه ما فيه من العناء والجهد.

ترجمتُنا:

لقد راعينا في هذه الترجمة الجديدة طريقة وُسطى، فابتعدنا وسع الطاقة عن الركاكة اللفظية وحرفية الأسلوب، محاولين مراعاة البلاغة العربية، ومعتنين بالأسلوب العربي عناية فائقة، ولكن ليس على حساب المعنى ودقته، فقد حرصنا كل الحرص على نقل المعنى الأصلي بدقائقه التي أرادها الأستاذ الإمام المجدد بديع الزمان سعيد النورسي، ولعلنا لا نبالغ إن قلنا إننا تحرينا في ترجمتنا هذه معنى المعنى للنص الأصلي مراعين في ذلك كله أساليبَ العربيةِ ومقتضيات بلاغتها.

صعوبات وعقبات:

هذا ولم يكن النص الأصلي ممهدا مُعَبَّدًا، ولا سهلا ميسورا؛ وإنما كان على العكس من ذلك تماما لما تميز به من خصوصية ميَّزتْه، وبصمة رفعتْه على غيره من النصوص المؤلفة بلغته، وتفصيل ذلك كالتالي:

أولا: **موسوعية المؤلف**؛ فقد كان الإمام المجدد سعيد النورسي عالما موسوعيا، وقد تعرض من خلال رسائله لمختلف العلوم والمعارف القديمة والحديثة، وهذه الموسوعية بالطبع تحتاج إلى جهد كبير من المترجم، وتيقظ دائم؛ لأن لكل علم و لكل فن خصوصيته في التناول ومعرفة الدقائق، مما يفرض على المترجم أن يحاول دائما الارتقاء إلى مستوى المؤلف في موسوعيته، ويقتضي ذلك منه أيضا لغة تستوعب تلك العلوم وتُرتِّبُ وِجْهَتَهَا.

ثانيا: **طبيعة النص ذاته:**

إن رسائل النور نص حجاجي برهاني من الدرجة الأولى، فهي نص يخاطب العقل والنفس ويحاججهما ويجادلهما النفس، وواضح ما لهذه النوعية من النصوص من صعوبة لما تعتمد عليه من منطق استدلالي وبرهاني وتسلل فكري واستنباطي قد يدفع بالقارئ السطحي إلى التيه بين مقدمات المسائل ونتائجها، ويجعل المعنى يفلت منه، ولا يستطيع أن يقف على أول الكلام ولا على آخره، وإذا كان هذا حال القارئ فما بالنا بحال المترجم

المطلوب منه نقل المعنى مع الحفاظ على دقائق المسائل في مقدماتها ونتائجها.

ثالثا: **خصوصية المصطلحات:**

لقد كان للأستاذ المجدد بديع الزمان سعيد النورسي مصطلحات خاصة، شأنه في هذا شأن سابقيه من الأئمة المجددين كالإمام أبي حامد الغزالي والإمام فخر الدين الرازي وغيرهما، وقد انتشرت تلك المصطلحات في كل رسائل النور، وكان لهذه المصطلحات ما لها من العمق الذي يحتاج إلى عمق في الترجمة يوازيه، ومع أخذ تلك العقبات والصعوبات بعين الاعتبار والاهتمام جاءت طريقة الوسطية في الترجمة، تلك الطريقة التي اتخذت قاعدة "لا إفراط ولا تفريط" أساسًا لها، فلا إفراط في اللفظ على حساب المعنى، ولا تفريط في المعنى لحساب الأسلوب.

مراجعة و مدارسة:

لقد تشكل للجنة الترجمة لجنة مراجعة على قدر رفيع من الدقة والحساسية لكل لفظ من ألفاظ الرسائل، ولكل تركيب من تراكيبها.

فقد وضعت هذه الترجمة على مائدة التشريح بين يدي أساتذة بلغوا الخمسين أو يزيدون، تربوا منذ عشرات السنين على رسائل النور ففهموها واستوعبوها، وكل منهم آخذ منهم من اللغة العربية بطرف. فقد اجتمعوا من كل حدب وصوب من أرض تركيا يراجعون ويدققون

ويرفضون أضعاف ما يقبلون، وصلوا الليل بالنهار وتركوا كل مهم وغال -وهم من هم في كثرة أعمالهم وأشغالهم ومسئولياتهم- في سبيل هذه الغاية، فما من كلمة من كلمات الرسائل إلا ومرت بين أيديهم ووقعت تحت أبصارهم، واتخذوا في ذلك طريقة عجبا، فقد اتخذوا هيئة محكمة أو لجنة إجازة ومنح ترخيص، فجلسوا -على كثرة عددهم في ناحية- ولجنة الترجمة في ناحية أخرى وكأنهم متهمون يقفون بين أيديهم، ثم يقرأ المترجمون الترجمة العربية التي قدموها كلمة كلمة وجملة جملة، ثم يترجمون ما كتبوه بالعربية إلى اللغة التركية مباشرة من دون الاستعانة بالنص الأصلي للرسائل، ثم ينظر المراجعون الأتراك إن كان هذا المعنى الذي نقلوه عبر الترجمة المباشرة من العربية إلى التركية موافقا للمعنى الموجود في النص الأصلي بكل دقائقه أولا، فإن كان موافقا قبلوه، وإن لم يكن ردوه إليهم ليعدلوه ويصححوه، فانظر إلى أي حد بلغ المترجمون من التعب والجهد، وإلي أي مستوى بلغت هذه الترجمة من الدقة والتدقيق، فمن تركية إلى عربية إلى تركية مرة أخرى، وهكذا في كل كلمة وفي كل جملة، نسأل الله أن يجزل الأجر ويقبل العمل.

مراجعة لغوية:

وعلى الصعيد الآخر -صعيد اللغة العربية- قد انضمت إلى لجنة المراجعة العامة لجنة متخصصة في اللغة العربية تابعت العمل من أوله إلى آخره، وشاركت في

كل اجتماعات المراجعة لتتابع التعديلات الجديدة، وتقوِّم عجمة اللفظ والأسلوب إن بدا ذلك، وتتتبع اللحن والخطأ وتقومهما، وتعيد الصياغة في الثوب العربي مراعية البلاغة العربية، واضعة نصب عينيها نبل الغاية وشرف المقصد وعقبات النص ومواطن الضعف عند السابقين، كما اجتهدوا في توضيح الكلمات التي ربما تستشكل على القارئ العادي في الحواشي السفلية، وكذلك تخريج آيات القرآن الكريم الواردة في النص والأحاديث النبوية والأثر وفق مناهج تحقيق التراث العلمية.

قراءة بالصوت:

ثم لم يكتف القائمون على هذه الترجمة بأن تكون نصا مكتوبا فقط، وإنما عهدوا إلى أحد أكابر أهل الفن والنشيد الإسلامي وله باع كبير في فن الإلقاء؛ ليقرأ الكلمات والرسائل كلها قراءة تهتم بمخارج الحروف وتنغيم الأداء والضبط اللغوي والنحوي، وذلك على سمع وبصر لجنة اللغة العربية في أثناء التسجيل الصوتي، هادفين من ذلك إلى أن تكون الرسائل نصا لغويا مسموعا يسهل مطالعته بالاستماع من ناحية، ويسهم في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من ناحية أخرى.

عود على بدء:

إن هذا العمل الضخم نعلن بدأه بـ"الكلمات"، ونسأل الله العون في تتمة بقية أجزاء الرسائل إن شاء الله.

هذا وإن كانت قاعدة "لكل شيء إذا ما تم نقصان" قاعدة مقررة لا ينكرها عاقل، ولا يغفلها غافل؛ فإننا لا ننكر ولن ننكر بشريتنا ونقصنا وزللنا ولكن حسبنا الاجتهاد وصدق النية، وما قصدنا بهذه الترجمة مبارزة ولا مضاهاة ولا مقارنة ولا تمايزا، وإنما حسبنا أن الميدان ميدان جهاد، وكل فيه مجتهد وسع طاقته.

فسددوا وقاربوا.

اللهم فاجبر الكسر، وأقل العثرة، وارفع الزلل، واقبل العمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

لجنة الترجمة والبحوث العلمية

الملاحظات